أساليب الشيطان
في إفساد الاعتقاد

تحقيق علمي مؤيد بأدلة الكتاب والسنة

تأليف
الدكتورة قذله بنت محمد القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله القائل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١) .

والقائل سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢) .

نَحمدُه ونستعِيْنُه ونستهدِيْهِ ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنَا وسيئاتِ أَعمَالِنَا، من يَهْده اللهُ فلا مُضلَّ لـهُ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ لـهُ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسُولهُ، أَدى الأمانةَ ونَصحَ الأُمةَ وجاهدَ في لله حقَّ جِهادِه، فَصلاةً وسلاماً عليه وعلى آلهِ وصحبهِ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

لقدْ جاءَ الأنبياءُ – عليهم صلواتُ الله وسلامُهُ – "بالبيانِ الكافي، وَقابَلوُا الأمراضَ بالدواءِ الشَّافي، وَتوافَقُوا عَلى مِنْهاجٍ لم يختلفْ، فأقبلَ الشيطانُ يخلِطُ بالبيانِ شُبُهَاً، وبالدواءِ سُمَّاً .. وما زالَ يلعبُ بالعقولِ إلى أنْ فرقَ الجاهليةَ في مذاهبَ سخيفةٍ، وبدعٍ قبيحةٍ، فأصبحوا يعبدونَ الأصنامَ في البيتِ الحرامِ، ويُحرِّمونَ السَّائبةَ والبَحيرةَ والوصيلةَ والحام(٣).. إلى غيرِ

---

(١) سورة يس، الآية ٦٠ .

(٢) سورة فاطر، الآية ٦.

(٣) سيأتي التفصيل في بيان معاني السائبة والبحيرة والوصيلة والحام .

ذلك من الضلالِ الذي سولّ لهم إبليسُ"[١].

وهذا بعدَ أنْ طردَهُ اللهُ وأبعدَهُ عندما تمردَّ على طاعةِ ربِّه ومولاهُ، وأَبى السَّجودَ لآدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزعَم أنَّه خيرٌ منه، ثم طلبَ الإِنْظارَ إلى يومِ البعثِ، فأنظرهُ اللهُ، فلمَّا أَمِنَ أخذَ يدبرُ الحيلَ ويصْنَعُ الأساليبَ، ويزينُ الباطلَ، ويسهِّلُ طريقَ الغوايةِ بمكْرِهِ وألاعيبـهِ، قَال تَعالى:

﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾[٢]، فبدأَ بآدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أنْ أسكنه اللهُ تعالى هو وزَوْجَه الجنةَ فزيّنَ لهما المعصيةَ، ووعَدَهُمَا بالخلودِ حتى أكلا من الشجرةِ التي نَهاهُمَا اللهُ تعالى عن الأكلِ منها، فكانتْ العاقبةُ الخروجَ من الجنةِ والهبوطَ إلى الأرضِ وهذا يدلُّ على أن هذه العداوةَ قديمةٌ بدأتْ منذ أن أمتنع عن السجود لأبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهي في أصلِ العقيدةِ والدين ومستمرةٌ إلى قيامِ الساعةِ، ولكنَّ اللهَ لم يتركْ عبادَه في جهل بل بيَّن تَعالى لهم عداوةَ هذا العدوِ وشدةَ خطَرِه مع عظيمِ مكرِه وأسَالِيبهِ في التَّزْيينِ والإغْواءِ[٣].

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠ ط. الرابعة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق د. السيد الجميلي.

(٢) سورةالحجر، الآية ٣٦-٤٠ .

(٣) أصل هذه السلسلة بحث دكتواره تقدمت به إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ...

أهمية البحث : ـ

١ـ إنه أخطر عدو للبشرية على الإطلاق وعداوته قديمة وهذه العداوةُ مستمرةٌ لا تزولُ، حيث وان هذا العدو يملك من السلاح والعتاد ما يعجز البشر عن الصمود أمامه ، ولا يمكن لهم مواجهته والانتصار ما لم يكن لديهم ، أضعاف ذلك السلاح من الإيمان وقوة اليقين ذلك هو إبليس لعنه الله واخزاه ، وخطره يتبين لنا من أمور :

الأول : انه يرانا ولا نراه قال تعالى : ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ (١).

الثاني : انه يجري من ابن ادم مجرى الدم ، كما في الحديث المتفق عليه . عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ حُيَيٍّ، أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول : « كَانَ الرَسُولُ اللهَّ ﷺ مُعْتكِفًا ـ أي في المسجد ـ فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأنقلب ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي. أي ـ يرافقني ـ فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ ». فَقَالاَ سُبْحَانَ اللهَّ يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شراً ـ أَوْ قَالَ ـ شَيْئًا »(٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية٢٧ .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧١٢) (٢١٧٥).

الثالث: شدة التحذير منه ، وبيان عداوته في الكتاب والسنة وما ذاك إلا لما علم منه سبحانه فهو خالقه العليم به، ومن الآيات المحذرة منه قوله تعالى : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلا طَيِّبا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ**﴾(١).

وقوله سبحانه ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ**﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿**أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ**﴾(٣) ، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم ، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين ، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم " ا.هـ(٤)

الرابع : تفننه في أساليب الإغواء والخداع فربما فتح أبواباً عظيمة من الخير ليصل إلى باب واحد من الشر؛ فيزين ويمني ويعدّ وما يعدهم إلا غرورا ، كما بيّن ذلك سبحانه في قوله : ﴿**لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبا مَّفۡرُوضا وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّا مِّن**

---

(١) سورة البقرة، الآية١٦٨-١٦٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.
(٣) سورة يس، الآية ٦٠.
(٤) تفسير ابن كثير ص ١١٩ ط . دار السلام .

دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانا مُّبِينا يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1] .

الخامس: غفلة الكثير عنه وأنه سبب كل شر في هذا العالم .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

" فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه، وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه ، الذي يستعين به عليه ، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته، وبأي شيء يحاربه وبماذا يداوي جراحه ، وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه ، وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم " ا.هـ[2].

السادس : إن كل إنسان قد وكل به قرين من الجن كما في الحديث عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال : رسول الله ﷺ قال « ما منكم من احد إلا وقد وكل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك ؟ يا رسول الله : قال : « وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير »[3].

السابع : انه لا يفتر يقظة ولا مناماً فهو عدو البشرية وهو الذي اخرج أبانا آدم من الجنة ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدوا عالما بطرق هلاكه ، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه متفننا

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٩-١٢٠.
(٢) مفتاح السعادة (١/ ٢٠٦) .
(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٧) (٢٨١٤).

فيها خبيراً بها حريصاً عليها ، لا يفتر يقظة ولا مناماً ، ولا بد له واحدة من ست ينالها منه .. الخ "[١] .

ـ عداوته لا تضمحلُّ، ومنشأها أصلُه الخبيثُ ونَفْسُهُ المنطويةُ على الحقدِ والحسدِ والكِبرِ، فهو يرى أن بني آدمَ سببُ شقائِه وزوالِ نعمتِه، قال تعالى: ﴿**قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلا**﴾ [٢] .

وفي حديثِ أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ إبليسَ قال: وعزتكِ لا أبرحُ أغوي بني آدمَ مادامتْ الأرواحُ فيهم، فقال لـه ربُّهُ عز وجلَّ: فبعزتي وجلالي لا أبرحُ أغفرُ لهم ما استغفروني» [٣] .

فهو عدُوٌ محاربٌ، ينبغي مواجهتهُ بكل ما نملك من قوى.

١- إن هذا العدوَّ له مداخلُ على النفسِ الإنسانية، وطرقُ إغراءٍ واستدراجٌ لا يتنبه لها كثيرٌ من الناسِ، فلابد من معرفتِهَا وتوضِيحِها وفضحِها ليتمَّ صدُّها وإبطالُها، قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في تلبيسِ إبليسِ: "وفتنُ الشيطانِ ومكايـدُه كثيرةٌ في غضون هذا الكتاب .

ولكثرةِ فتنِ الشيطانِ وتشبثها بالقلوب عزتُ السلامةُ فإن من يدعُ إلى ما

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٢) .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٦٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤١)، والحاكم في المستدرك رقم: ٧٦٧٢ (٤/ ٢٩٠) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

يحثُ علَيه الطبع كمدادِ سفينةِ مِنحدرةٍ فيا سرعةَ انحدرِاها .. "[١] ا.هـ.

فهو محيطٌ بالعبدِ من جميع جوانِبهِ، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ**﴾[٢].

٢- شدةُ الفتنةِ بالشيطانِ حتى إنه ليشَارِكُ في فتنة المسيحِ الدجالِ فيتمثَّلُ في صورةِ الأبِ والأمِ ليأمر باتباعِ الدجالِ كما سيأتي ، فلابد من إبرازِ موضوع الشيطانِ في صورة واقعيةٍ ملموسةٍ، حتى يُدركُ خطرُهُ وتنكشف مكايدُه، فهو أشد من اليهودِ والنصارى وسائرِ الكفرةِ، فهو الرأسُ المدبرُ والطاغوتُ الخفيُّ الذي يواصلُ سعَيه الدؤوبَ لمحوِ وإزالةِ دينِ اللهِ وتوحيدِه من الأرضِ.

وفي الصحيح « إنَّ في البَحْرِ شَياطِينَ مَسْجُونَةً، أوْثَقَها سُلَيْمانُ، يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ علَى النَّاسِ قُرْآنًا» [٣] .

٣-إبرازُ خطرِهِ على المجتمعِ الإسلاميِّ والأمةِ المسلمةِ، فليسَ خطرُهُ قاصراً على نطاقٍ فرديٍّ يتمُ التحرزُ منه ودفعُهُ بالزادِ الإيمانيِّ عند الفردِ، بلْ لابدَ معَ ذلكَ من محاربتهِ ومواجهتِهِ بشكلٍ جماعيٍّ، فما من شرٍ في هذا العالمِ إلا هو سبَبُهُ .

---

(١) تلبيس إبليس ص٤٥.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٦-١٧.

(٣) رواه مسلم في المقدمة رقم: ٧ (١/ ١٢).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"ولا يمكنُ حصرُ أجناسِ شرِهِ، فضلاً عن آحادِهَا، إذ كُل شرِ في العالمِ فهو السببُ فيه"[١] ا.هـ.

وقد ركزتُ - بحسبِ تخصصي - على جانبِ العقيدةِ، وإن كانَ لوازمُ البحث جعلتني أتطرقُ لكثيرٍ من الجوانبِ الأخرى ولو بالإشارةِ.

٤- ضرورةُ التأصيلِ الشرعيِّ للتصورِ الغيبيِّ لقضايا الجنِ والشياطينِ خصوصاً مع كثرةِ الخوضِ فيها ما بين مصيبٍ ومخطئٍ، ومؤمنٍ ومُنكرٍ.

٥- إنه يَرانَا ولا نراهُ غالباً، ولهذا عُظمَ خطرُهُ واستفْحَلَ شرُهُ؛ لأن العدوَّ الذي تراهُ تستطيعُ دَفْعَهُ ومقاومَتَهُ، وأما العدوُ الخفيَّ فقد تغفلُ عن التحذر مِنهُ، وقدْ يباغِتُكَ على حينِ غفلةٍ وفي حالةِ ضعفٍ، ولهذا أمرنا اللهُ تعالى بالاستعاذةِ منه قال سبحانه: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾[٢] .

٦- إن مكايدَ الشيطانِ كانتْ السببَ في إفسادِ عقائدِ الأممِ وانحرافِهَا عن التوحيدِ الخالصِ قديماً وحديثاً. وخفاءِ مكايدِهِ، فرأيتُ أن أتناولَ هذا الموضوع، وأوضحَهُ إذ معرفةُ الشرِ سببٌ لاجتنابهِ وتحذيرٌ من الوقوعِ فيه، كما كان حذيفةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألهُ عن الشرِ مخافةَ أن يُدْركَني ...»[٣] الحديث.

---

(١) تفسير المعوذتين، (ص١١١-١١٢).

(٢) سورة النحل، الآية ٩٨ .

(٣) رواه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤١١

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"إن الله سبحانه ابتلى هذا الإنسان بعدو لا يفارقه طرفة عين ولا ينام عنه ولا يغفل عنه يراه هو وقبيله من حيث لا يراه يبذل جهده في معاداته في كل حال ولا يدع أمر يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله إليه ، ويستعين عليه ببني جنسه أبيه ، من شياطين الجن: وغيرهم من شياطين الإنس ، فقد نصب له الحبائل ، وبغى له الغوائل ،ومدحو له الإشراك ، ونصب له الفخاخ والشباك ،وقال لأعوانه: دونكم عدوكم ، وعدو أبيكم ،لا يفوتكم ، ولا يكون حظه الجنة وحظكم النار، ونصيبه الرحمة ونصيبكم اللعنة ، وقد علمتم أن ما جرى عليّ وعليكم من الخزي واللعن والإبعاد من رحمة الله بسببه ومن أجله "(١) .

لهذا استخرتُ اللهَ تعالى في بَحثِ مكايـدِه، وكشفِ مخططاتهِ وإنْ لم أكنْ أوَّل مَن شرعَ في ذلك، ولكنّ الموضوعَ يَحتاج إلى جهدٍ واهتمامٍ وبذلٍ للمزيدِ لتتضافرَ الجهودَ ويُفْضَحَ الكيدُ سعياً في نجاةِ العبد أولاً ثم نَجاةِ من يَدعُوه ثـانياً. وقد رأيت أن هذا الموضوعَ بحاجةٍ إلى ضمِ جوانبـهِ، وجمعِ مُتَفَرِقِه، إذ قد أُلِّفتْ فيه المؤلفاتُ الكثيرةُ قديماً وحديثاً، ومن هذه المؤلفاتِ: إغاثةُ اللهفانِ من مصايدِ الشيطانِ لابن القيمِّ، تلبيسُ إبليسَ لابنِ الجوزيِّ، مصائبُ الإنسان من مكايدِ الشيطانِ لابن مفلحِ الحنبلي،

(٣/ ١٣١٩)، ومسلم في كتاب: الإمارة، رقم: ١٨٤٧ (٣/ ١٤٧٥).

(١) الداء والدواء لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص : ٢٤٧) .

مكايدُ الشيطانِ لابن أبي الدنيا، مكايد الشيطانِ للعفيفي، الحربُ على الشيطانِ لمصلح محمد، مصايدُ الشيطانِ وذم الهوى لابن غانِم، سلاحُ اليقظانِ للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان، عالمُ الجنِ والشياطينِ د. عمر الأشقر، البيانُ في مداخلِ الشَيطانِ لعبدالحميدِ البلالي، الصحيحُ الجامعُ لأخبار الجنِ والشيطانِ لوائل بن السعيد آل درويش، وغيرها من المؤلفات . وهناك رسائلُ جامعيةٌ تناولتْ هذا الموضوعَ ومنها:

- الأحاديثُ الواردةُ في الشيطانِ ومكايدِهِ والوقايةِ منه جمعاً وتخريجاً ودراسة د. إلهام بنت بدر الجابري، رسالةُ دكتوراه، جامعةُ الإمام – كليةُ أصولِ الدين.

- دراسةٌ عقديةٌ لإبليسَ ومعتقداتِ الفرقِ الضالةِ فيه للباحث محمد بن سليمان المفدى، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

- عالمُ الجنِ في ضوء الكِتابِ والسنةِ، تأليف فواز عبيد الله.

- زعماءُ الشرِ في القرآنِ الكريمِ، سميرة جالية – كلية الآداب - رسالةُ ماجستير.

وأكثرُ هذه المؤلفاتِ تركزتْ فيها الدراسةُ على جانبٍ معينٍ كخلقِ الشيطانِ وأصلِهِ وصفاتِهِ، أو التعوذِ منه والتحصنِ منه أو تناولِهِ من جانبٍ حديثيٍّ أو فقهيٍّ، وبعضُهَا بحثَ الموضوعِ بشكلٍ شاملٍ، كما في إغاثةِ اللهفانِ لابن القيمِّ وتلبيسِ إبليسَ لابنِ الجوزي –رحمهما الله تعالى.

لذا ركزتُ في دراستي على الجمعِ والترتيبِ والتبويبِ في مسائلِ العقيدةِ،

فجمعتُ تحت كل مسألةٍ ما يخصها من هذه المكايدِ.

وأسألُ اللهَ تعالى أن أكونَ وُفقتُ وأضفتُ جديداً للمكتبةِ الإسلاميةِ؛ وساهمت في نفع الأمة وتحذيرها من أشد أعداءها وصدقت في نصحها، لأنَّ الأمرُ أخطرُ مما يُتصورُ، ومهما بُذل فيه من الجهودِ فهي لا تفي إلا بجزءٍ يسيرٍ من هذا الموضوعِ المتشعب والهامِ.

وقد رأيت بعد مناقشة الرسالة[١] بمشورة بعض العلماء إخراجه في سلسلة يستفاد منها ليسهل قراءته، فاستعنت بالله وقيَّض الله لهذا البحث من المخلصين الصادقين- نحسبهم كذلك والله حسيبهم- من كان عضداً لي في الإخراج والصف والطباعة .

فجزاهم الله عني وعن الإسلام والمسلمين خيراً ...

منهجية البحث : ـ

١- كتابةُ الآياتِ بالرسمِ العثماني، وعزوُها إلى السورةِ ورقْمِ الآيةِ.

٢- تخريجُ الأحاديثِ والآثارِ من المصادرِ الحديثيةِ ما أمكنَ ذلك، وإذا كانَ الحديثُ في الصحيحينِ أو أحدهُمَا اكتفيتُ بعزوه إليهما أو إليه، أما إذا كان في غيرِهِما فإني أتوسعُ في تخريجِهِ، وأنقل كَلامَ علماءِ الحديثِ في الحكم

(١) أصل البحث رسالة علمية تقدمت بها لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بعنوان (مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد وطرق الوقاية منه) ونلت درجة الدكتوراه عام ١٤٢٥هـ بمرتبة الشرف الأولى، وقد طبع الكتاب كاملا وتم بحمد الله وفضله تقسيمه في (خمسة كتب) في سلسلة مكايد الشيطان، نفع الله بها وجعلها خالصة صواباً .

عليه ما استطعتُ.

٣- تعريفُ الأعلامِ غير المشهورينَ بترجمةٍ موجزةٍ.

٤- شرحُ الألفاظ الغريبةِ.

٥-تحديدُ الأماكنِ والبلدانِ.

٦-التعريف بالفرق.

٧-عند النقل من مرجع ما نصاً أضع ما نقلته بين علامتي تنصيص " " وما نقلته بالمعنى وأضفت إليه معاني أخرى أشير إليه بلفظ: انظر مرجع كذا.

عند ذكري لمكايد الشيطان في مسألة ما أورد عليها دليلاً من الكتاب أو السنة الثابتة، فإن لم أجد بحثت عن أثر وأدعمه بأقوال السلف أو معنى آية من كتاب الله، وأنقل ما يدل على ذلك من أقوال المفسرين أو استنتاج توصلت إليه.

ثم أذكر ما يتعلق بهذه المكيدة من شبهات ومسائل جزئية ، وإنما أستدل عليها بعموم مكايده مثل قوله تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ**﴾الآية [١] ، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**﴾ [٢] .

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٧.

(٢) سورة الحِجر، الآية ٣٩.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٢].

وحديث سبرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام...**»[٣] الحديث – كما سيأتي –.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

"ومن شره: إنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها، فما من طريق من طرق الخير، إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه، فإن خالفه وسلكه ثبَّطه فيه وعوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع، فإن عمله وفرغ منه قيض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته"[٤] ا.هـ.

١٠- الشبهات التي أوردها أردّ عليها بإجمال وأحيل إلى مراجع الرد، لأن البحث لا يتسع لكثرة الرد، وفي المقابل وجدت أنه من الصعب إيراد الشبهة دون تفنيد لها ولو بشكل موجز.

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦-١٧.

(٢) سورة الحج، الآية ٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٣)، والإمام النسائي في كتاب الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر رقم: ٣١٣٤ (٦/ ٢١)، وانظر صحيح الجامع (٢/ ٧٢).

(٤) تفسير المعوذتين، ص١١٠.

١١- نقلت أقوال الخصوم من كتبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً مما وجد عندي منها وما استعرته من المكتبات العامة أو الخاصة، ومن خلال البحث في مواقعهم ، وما لم أجد نقلت أقوالهم من كتب المقالات والملل، وكتب الثقات أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله–.

١٢-ما ذكرت بلفظ شيخ الإسلام وأطلقت فالمقصود ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٣- التعليقات الهامشية التي أضيفها من غير صلب البحث أشير إليها بعلامة (*).

تقسيم البحث : ـ

تم بحمد الله وفضله تقسيم البحث إلى خمس أجزاء عبارة عن سلسلة على النحو التالي : ـ

الكتاب الأول : حقيقة الشياطين وصفاتهم في ضوء الكتاب والسنة وبيان عداوتهم لبني آدم[١] .

الكتاب الثاني: أسباب الانحراف عن الفطرة وعداوة الشيطان لأنبياء الله وبيان مكايده في إيقاع العباد في الكفر والشرك والبدع [٢].

---

(١) وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع
https://www.d-gathla.com/issuse/file/94-2019-09-12-16-05-20?start=20

(٢) وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع
https://d-gathla.com/issuse/file/103-2019-12-12-08-03-57

الكتاب الثالث : أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد ، وهو كتابنا هذا ، ويتكون من مقدمة واثنا عشر بابا وخاتمة.

المقدمة ذكرت فيها أهمية البحث، ومنهجية البحث، وتقسيم البحث.

الباب الأول: في خطوات الشيطان وهي خمسة : النسيان ، والاستدراج ، والتسويف ، والوسوسة، والأزُّ.

الباب الثاني : في طرق الشيطان وأساليبه في تزيين الباطل ونسيان الحق.

الباب الثالث: أنوع الفتن.

الباب الرابع: طرق الشيطان ووسائله في افساد الاعتقاد بإلقاء الشبهات .

الباب الخامس: الصد

الباب السادس: ظن السوء

الباب السابع: التسويل

الباب الثامن: الاستحواذ والاستهواء والتخويف

الباب التاسع: القنوط من رحمة الله

الباب العاشر: الأمن من مكر الله

الباب الحادي عشر: الاستفزاز

الباب الثاني عشر: السحر

الخاتمة.

الكتاب الرابع : مكايد الشيطان في مسائل النبوات والغيبيات.

الكتاب الخامس : الحص الحصين " بحث شامل لجميع طرق وأسباب ووسائل التحصين من الشيطان الرجيم مؤيدة بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة [١].

وفي الختام أحمد الله وأشكره أولاً وآخراً، فله جل وعلا حمداً وشكراً كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. كما أشكرُ كلَّ من شارك في إخراجه وطباعته ونشره ، فأسألُ اللهَ تعالى أن يجزيَ الجميعَ خيرَ الجزاءِ. كما أسأَلهُ تعالى أن يتقبلَّ هذا العملَ ويجعَلَهُ خالصاً لوجههِ الكريمِ، صواباً وصلى اللهُ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدين .

جمع وتأليف : الفقيرة الى عفوربها القدير

قذلة بنت محمد بن عبدالله بن معيض آل حواش القحطاني

رابط الموقع

https://d-gathla.com

(١) تمت طباعة كتاب الحصن الحصين ونشره بحمد الله في المكتبات ونشره الكترونياً في المكتبات الوقفية وهذا رابط الكتاب لمن أراد الاستفادة والاطلاع.
https://d-gathla.com/downloads/books/pdf/alhesnalhaseen.pdf

الباب الأول
خطوات الشيطان

الخطوة في اللغة:

"جمع خطوة، والخطوة ما بين قدمي الماشي، والخطوة بفتح الخاء: الفعلة الواحدة، من قول القائل خطوت خطوة واحدة؛ وقد تُجْمَعُ الخطوة خُطاً، والخطوة تجمع خطوات وخطاء..." (١) .

ولقد اتخذ عدو الله إبليس اللعين أساليب شتى يتفنن فيها لإضلال العباد، وإفساد عقائدهم، لأنه يعلم أنهم لن ينساقوا إليه إلا بحيل يتخذها، لا يدرك العباد كنهها، ليوقعهم كما أوقع أباهم آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: "فالإنسان يعيش بعمره القصير في صراع مستمر مع عدوه الشيطان الذي يمارس ضده كل أنواع المكر والشر والفساد، ومسخراً كل إمكاناته ووسائله وخبراته لكيد هذا الإنسان وخذلانه" (٢) .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدواً عالماً بطرق هلاكه، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه متفنناً فيها ، خبيراً بها حريصاً عليها، لا يفتر

(١) جامع البيان، لابن جرير (١/ ٧٦)، وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص ٦٨، ولسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٣١)، وبصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢/ ٥٥٣).

(٢) الفتنة وموقف المسلم منها، إعداد عبدالحميد السحيباني، ص ٤١٦، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، دار القاسم للنشر والتوزيع.

يقظة ولا مناماً...» ا. هـ[١].

وهو يعلم أيضاً أنه لا يمكن أن يخدع العباد بوساوسه دفعة واحدة، فلا بد من التدرج والسير مع العباد خطوة بخطوة وحيلة بعد حيلة، وكما رأى أن هذا المدخل موصد، اتخذ مدخلاً آخر، وهكذا حتى لا يدع باباً إلا وسلكه ولا حيلة إلا واحتال بها، حتى يوقع العباد في الغفلة والإعراض عن الله[٢].

وقد نهى الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان في آيات كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[٤].

وقولـه تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[٥].

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ٢٠٦.

(٢) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أنس أحمد كرزون، ص ٦٦٣، نشر دار نور المكتبات، جدة، ودار ابن حزم، بيروت.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تفسير خطوات الشيطان على أقوال منها:ـ

١- خُطُوَاتُه بمعنى الخطايا التي يأمر بها.

٢- وقيل عمله.

٣- وقيل خطيئته.

٤- وقيل النذور في المعاصي.

٥- وقِيل طريقه وأثره فيما دعا إليه.

٦- وقيل مسالكه ومذاهبه.

٧- وقيل نَزَغاتُهُ.

٨- وقيل تحرِيُمُه الحلالَ وتحليله الحرام.

٩- وقيل طاعته (٢) .

ولا تنافي بين هذه الأقوال جميعاً، فهو يأمر بكل خطيئة، وطرق الغواية هي مذاهبه ومسالكه، وهو لا يأمر بذنب إلا وزينه وسلك إليه سبيلاً إلى قلب العبد ليوصله إليه .

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري (١/ ٧٦-٧٧)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٣٠٨-٣٠٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٢٠٨-٢٠٩)،وزاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٧٢). وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة،ص ٦٨.

وجميع هذه الأقوال – تفسر المراد بخطوات الشيطان، وهي خطوات – كما هو معناها اللغوي – خطوة ثم خطوة وهكذا.

وقد أخبر النبي ﷺ أن تسلط الشياطين بعد زمنه سيكون أقوى من ذي قبل، كما في الحديث ، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « يَذْكُرُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " أَيْنَ السَّائِلُ؟ " فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: " لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةُ سَنَةٍ "، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ. الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ، وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِّبَةِ عَلَى النَّاسِ » [1] .

(١) رواه أحمد في المسند، ٥/ ٣٢٥، ولم أجد للحديث طرقاً أخرى غير المسند. ورقم الحديث ٢١٧٠٧. ط أحياء التراث

وأول هذه الخطوات:

أولاً: النسيان

وهو الترك [١] ، "والنَّسي الشيء الـمَنْسِيّ الذي لا يذكر"[٢] ، منه قوله تعالى: ﴿ **وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ [٣]. "والنسأ التأخير، يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إنساءً إذا أخرته [٤]، والنسيان ضلالة لما فيه من الحيرة"[٥] .

وقد اتخذ منه إبليس وسيلة من وسائله لإفساد الاعتقاد، ومن ذلك:

١-نسيان العبد ذكر ربه :

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [٦] .

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٥/ ٣٢٢)، مختار الصحاح، (١/ ٢٧٤).

(٢) العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (٧/ ٣٠٤)، نشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي، (٢/ ٤٠٤)، الفائق في غريب الحديث، (٣/ ٤٢٦)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، (٥/ ٤٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١/ ٢١١).

(٦) سورة المجادلة، الآيتان: ١٨-١٩.

٢- نسيان الأمر والنهي والوعد والوعيد:

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

"أي فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم الله لعنهم، أي أبعدهم عن الحق وطردهم عن الهدى.. فأدى ذلك إلى فساد أفهامهم وسوء تصرفاتهم، ونسوا العمل وتركوه رغبة عنه" (٢) .

قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ (٣).«أي طال عليهم العمر حتى نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك» (٤) .

ومن نسيان الأمر والنهي ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٥٢٦).
(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ١٧-١٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٤١).

مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [١] ، والمعنى: لقد وصينا آدم ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[٢] فوسوس إليه الشيطان فأطاعه وخالف أمري فحل به من عقوبتي ما حلَّ" [٣] .

٣- نسيان الذنوب والمعاصي:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [٤] .

"أي: نسي ذنوبه وخطاياه المهلكة، فلم يحدث نفسه بالتوبة والإنابة فطبع الله على قلوبهم، وجعل في آذنهم ثقلاً عن الهداية وسلوك سبيل الاستقامة" [٥] .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "أي تناساها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى لها بالاً" [٦] .

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٣) جامع البيان، لابن جرير (٩/ ٢٢٠).
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٧.
(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٩/ ٢٦٨).
(٦) تفسير ابن كثير، ٤/ ٤٠١.

٤- مجالسة العصاة ونسيان إنكار المنكر:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها..." ا. هـ (٢) .

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه..."ا.هـ (٣) .

٥- نسيان النعم:

قال تعلى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (٤) .

وهذا حال الكافر المكذب، فهو مع الشدة منيب مقبل، تارك للشرك فإذا أعطاه الله النعم، وجاءت الرفاهية نسي هذا التضرع والمسكن (٥) ، كما قال

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٢).
(٤) سورة الزمر، الآية: ٨.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٨١) وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٣٨).

تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) .

٦- نسيان الآخرة والبعث والجزاء:

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٤).

٧ - نسيان العبد مصالحه الدينية والدنيوية:

ومن ذلك نسيان النبي ﷺ أن يصل كلامه بالمشيئة عندما وعد من سأله المسائل الثلاث التي في سورة الكهف (٥) .قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ (٦) .

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥١.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٤.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٩/ ٢٢٨-٢٢٩).
(٦) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

ومن ذلك نسيان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغلامه الحوت، كما ذكر ذلك تبارك وتعالى في قولـه تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا [١] .

وقولـه تعالى : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [٢] .

ومن ذلك نسيان الغلام الذي نجا ذكر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في قولـه تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [٣] .

وقد تقدم الكلام حول هذه الآية[٤] .

وفي الحديث: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك»[٥].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦١.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٢.
(٤) انظر: الجزء الأول من سلسلة مكايد الشياطين في مسائل الاعتقاد (حقيقة الشياطين) من الإيذاء النفسي (النسيان) ص٥٢.
(٥) رواه البخاري، في كتاب مواقيت الصلاة، باب (من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها)، رقم: ٥٧٢ (١/ ٢١٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٦٨٤، (١/ ٤٧٧).

ثانياً: الاستدراج

الاستدراج أصله من دَرَّجَ يقال: "دَرَّجَه إلى كذا واستدرجه، بمعنى أي أدناه منه على التدريج، فَتَدَرَّجَ" (١).

ومنه قولـه تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، والمعنى: "سنأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم" (٣).

وقيل المعنى: "كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة، وأنسيناهم شكر النعمة واستغفار الذَّنب" (٤) .

وهكذا عدو الله إبليس يستدرج العبد ويدنيه منه درجة درجة، قليلاً قليلاً، حتى يصل به إلى هدفه ومأموله.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ (٥).

ومعنى استزلهم أي دعاهم إلى الزلة والخطيئة (٦) .

فهو يدخل إلى النفس الإنسانية (١) ثم لا يزال بها حتى تصل إلى حالة من

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).
(٢) سورة القلم، الآية: ٤٤.
(٣) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).
(٤) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٢/ ٥٩٢).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.
(٦) الآية نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ عندما ولوّا عن المشركين يوم أحد، ومعنى استزلهم، قيل المراد ذكرهم ذنوباً وخطايا كانوا ارتكبوها فخافوا وكرهوا من لقاء الله بهذه الحال، وقيل إنهم سمعوا باشاعة مقتل النبي ﷺ فترخصوا في الفرار.

الضعف الإيماني فتفقد ثقتها بالله تعالى، وتقل صلتها به سبحانه، فيختل توازنها، ومن هنا يقودها إلى زلة أخرى وهكذا [٢] .

قال حكيم من الحكماء:

"الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعه، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد إلحاحه، فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة" ا. هـ [٣] .

ثالثاً: التسويف

والتسويف هو الخطوة الثالثة لإبليس ، فلا يزال بالعبد يسوفه ويثبطه ويذكره طول الأمل وإبقاء الوقت حتى يدرك منه مراده.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"كم من عازم على الجد سوفه، وكم من ساع إلى فضيلة ثبطه، فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة، أو انتبه العابد في الليل ليصلي

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٣/ ١٤٤-١٤٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٨٣)، تفسير الفخر الرازي (٩/ ٥٢-٥٤).

(٢) انظر: مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف سليم الهلالي، ص ١٠، ط. الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، دار ابن الجوزي، الدمام.

(٣) احياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٤٥)، دار المعرفة، بيروت.

فقال عليك وقت، ولا يزال يحبب الكسل ويسوِّف العمل...» [١] .ومن الأمثلة على ذلك. عقده على النائم إذا هو نام بثلاث عقد يضرب على كل عقدة منها عليك ليل طويل فارقد حتى يخرج وقت الصلاة وهكذا في جميع العبادات.

كما في الصحيحين: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ »[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [٣] :

"فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان، نحو سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعلو على أقرانك، وتظفر بأعدائك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك، ويطول أمله... ويمنيه الأماني الكاذبة على اختلاف وجوهها..."ا. هـ [٤] .

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٤٠٤-٤٠٥.
(٢) رواه البخاري (١١٤٢) وشرح النووي على مسلم (٦٧ / ٦)
(٣) سورة النساء، الآية، ١٢٠.
(٤) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٦).

رابعاً: الوسوسة

هي: "الخطرة الرديئة" [١] .

"الوَسْوسَة والوَسْواس: الصوت الخفي من ريح، والوَسْواس: صوت الحلي" [٢] والوسوسة هي: "حديث النفس والأفكار.. ورجل موسوس إذا غلب عليه الوسوسة، وقد وسوست إليه نفسه وَسْوسَةً وَوسْواساً بالكسر وهو بالفتح الاسم، والوَسْواس أيضاً اسم للشيطان، وَسْوَس إذا تكلم لم يبينه"[٣] .

النزغ من الوسوسة لكنه أقل منها فهو أدنى الوسوسة. وهو من ينزغ نزغاً: أي أغرى وأفسد [٤] .

وهي سلاح قوي من أسلحة إبليس في إفساد الاعتقاد، إذ هي الطريق الخفي والمنفذ السالك إلى القلب، فبها يشكك العبد في ربه وخالقه، وبها يفتن العبد عن دينه.

قال تعالى:﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ**

---

(١) التعاريف للمناوي (٢/ ٧٢٥).

(٢) لسان العرب، (٦/ ٢٥٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٥/ ١٨٥-١٨٦)، وانظر: لسان العرب، (٦/ ٢٥٤-٢٥٥)، و (١٥/ ٤٢٦)، (٦/ ٥).

(٤) انظر: مختار الصحاح، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، (٢/ ٧٤٠).

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[١] .

وقولـه تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[٢] .

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته»[٣].

وهو يجلب على العبد في صلاته ليفسد عليه طاعته، كما بين ذلك المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ ، إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ، أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فَإِذَا سَكَتَ ، رَجَعَ فَوَسْوَسَ ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ، ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ » ، وفي رواية: « حتَّى إذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حتَّى يَخْطِرَ بيْنَ المَرْءِ ونَفْسِهِ، يقولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِما لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»[٤] .

وفي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٣) رواه البخاري (٣٢٧١) ومسلم (١٣٤)

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب (فضل التأذين)، رقم ٥٨٣، ومسلم في كتاب الصلاة، رقم ٣٨٩، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٢٩١).
وللإستزادة والتفصيل في وسوسته في الطهارة والصلاة، انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٠١ وما بعدها).

ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ» (١).

ومحل وسوسته «القلب» فهو محل اهتمامه ومركز سهامه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ»(٢) .

وروى ابن جرير الطبري بلفظ: «ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا عقل فذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس، قال: فذلك الوسواس الخناس» (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٣٢) وانفرد به.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٦٨)، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٨/ ٦٩٤)، وقال: أخرجه ابن أبي الدنيا عن مكايد الشيطان، وأبو يعلى وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وذكره ابن كثير في التفسير (٤/)٥٧٦، وقال: «غريب» ا. هـ.

(٣) جامع البيان، لابن جرير (١٥/ ٣٥٥)، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه، رقم ٣٩٩١، ٢/ ٥٩٠، وقال ابن حجر في الفتح: في إسناده حكيم بن جبير وهو ضعيف. ا. هـ (٨/ ٧٤١).
قال ابن حجر: «أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نفض كتفه الأيسر حذاء قلبه لـه خرطوم البعوضة» وقال: «أخرجه ابن عبدالبر بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبدالعزيز فذكره.... وله شاهد مرفوع عن أنس عن أبي يعلى وابن عدي، ولفظه أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم»ا. هـ.

والواسواس: هو الشيطان [١] .

وهو ينفذ إلى النفس الإنسانية من ثلاثة منافذ هي:

أولاً : الهوى ومحبته الشخص للشيء.

ثانياً : الجهل بهذا الطريق.

ثالثاً : أمن هذا الطريق[٢].

قال أبو الحسن الأشعري [٣] في مقالاته: "واختلفوا في شر الوسواس الشيطان كيف يوسوس؟!

فقال قائلون: أنهم يوسوسون، وقد يجوز أن يكون الله تعالى جعل الجوّ أداة لهم، أو جعل لهم أداة ما غير الجو، وذلك متصل بالقلب فيحرك الشيطان تلك الآلة من جهة بعض خروق الإنسان، فيوصل الوسوسة إلى قلبه بتلك الآلة... وقال قائلون: جسم الشيطان أرق من أجسامنا، وكلامه أخفى من كلامنا فيجوز أن يصل إلى سمع الإنسان فيتكلم

---

(١) انظر: جامع البيان (١٥/ ٣٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٦١)، وفتح الباري (٨/ ٧٤٢).

(٢) انظر: كتاب الفتنة وموقف المسلم منها.

(٣) هو على بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري أبو الحسن، ولد عام ٢٧٠، وتوفي عام ٣٣٠هـ، كان اشعرياً، وإليه تنسب الأشاعرة ثم رجع عن مذهبه كما صرح في الإبانة، لـه مؤلفات منها: المقالات والإبانة واللمع في الرد على الزيغ. انظر: طبقات الشافعية، للسبكي (٢/ ٢٤٥)، البداية والنهاية، لابن كثير (١١/ ١٨٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣).

بكلامه الخفي فيكون ذلك هو وسوسته"ا. هـ[١] .

والتحقيق أن ذلك من علم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، دون المعرفة للكيفية.

والوسواس أنواع منها:ـ

١ ـ وسواس للتشكيك في الحق:

كما ورد في الحديث: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته» فيلقي الشبهات ويلبس الحق بالباطل[٢] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"فلما يئس الشيطان من أصحاب محمد ﷺ بالإغراء والإضلال أخذ يشوش عليهم أوقاتهم بتلك الألقيات والوساوس الترهات فنفرت عنها قلوبهم وعظم عليهم وقوعها عندهم فجاؤوا كما في الصحيح فقالوا يا رسول الله إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «أو قد وجدتموه، قالوا: نعم، قال: ذلك صريح الإيمان رغما للشيطان»ا. هـ[٣] .

٢ ـ وسواس لتحريك الشهوة لارتكاب الحرام:

كشراب الخمر والزنا، وغير ذلك من الفواحش، فيحاول جاهداً

---

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (٢/ ٤٣٥-٤٣٦)، دار إحياء التراث، بيروت، ط. الثالثة.

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبدالبر (١٨/ ٣٠٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٤٩).

الوسوسة وتحسين الحرام والذنب للعبد حتى يرتكبه، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية ؛ لأن ثالثهما الشيطان- كما سيأتي إن شاء الله

٣ ـ وسواس لإفساد العبادات:

فالشيطان يسعى جاهداً لإفساد العبادات، ومن أعظم ذلك الصلاة، فموقف العبد في صلاته أشد ما يكون على الشيطان، لذا يجلب على العبد بخيله ورجله لصده عن هذا القيام، ومن الأمثلة .

عن عُثْمَانَ بْن أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي »[1].

ومن وسوسته في الصلاة ما يجده المصلي من توهم خروج الريح، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول ﷺ قال: (إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة، فيأخذ بشَعْرَة مِن دُبُرِه فَيَمُدَّها فيرى أنه قد أحدث، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً) [2] .

وفي الصحيح عن عبادة بن تميم عن عمه: «أَنَّهُ شَكَا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) رواه الحارث ابن أبي أمامة في مسنده (١/ ٢٢٠)،ط الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، تحقيق: د. حسين الباكري.
وعبدالرزاق في مصنفه بلفظ:«إن الشيطان ينفخ في دبر الرجل..» عن عبدالله بن مسعود (١/ ١٤١).
والبيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس، رقم ٣١٩٣، (٢/ ٢٥٤).

الرَّجُلَ الذي يُخَيَّلُ إليْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيءَ في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: لَا يَنْفَتِلُ أو لا يَنْصَرِفْ حتَّى يَسْمَعَ صَوْتَاً أو يَجِدَ رِيحاً»[١] .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقاعدة عظيمة من قواعد الفقه، وهي أن الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك، ولا يضر الشك الطارئ عليها" ا. هـ[٢] .

ومن وسوسته في الوضوء أنه قد يوهم العبد خروج شيء منه بعد الاستنجاء، وقد يدعوه إلى الإسراف في الماء، وللوضوء شيطان خاص به يسمى الولهان [٣] ، كما جاء ذلك في الحديث عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له: الولهان، فاتقوا وسواس الماء» [٤].

وكان ﷺ إذا بال ينتضح كما في الحديث عن أبي داود «كان رسول الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطهارة، باب (لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن)،رقم ١٣٧، (١/ ٦٤)، ومسلم في كتاب الحيض، رقم ٣٦١، (٤/ ٤٩)، شرح النووي.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ٤٩).

(٣) الولهان: مصدر وَلَهَ وَلَهانا، والوَلَه: ذهاب العقل والحيرة، وسمى هذا الشيطان بهذا الاسم، قيل: لشدة حرصه على الوسوسة للعبد لإفساد وضوئه، وقيل: لكونه يوصلهم بوسوسته إلى الحيرة وذهاب العقل حتى لا يدري كيف تلعب به الشياطين، انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٧)، تحفة الأحوذي (١/ ١٥٦-١٥٧)، فيض القدير (٢/ ٥٠٣).

(٤) رواه الترمذي في كتاب: «الطهارة»، باب: (ما جاء في كراهية الإسراف في الوضوء)، رقم: ٥٧. والحاكم في المستدرك، رقم: ٥٧٨، (١/ ٢٦٧) وقال: وله شاهد بإسناد آخر أصح من هذا، أ.هـ وصحيح ابن خزيمة، رقم :١٢٢(١/ ٦٣) .

ﷺ إذا بال توضأ وينتضح [١] »[٢].

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إن الشيطان يأتي أحدكم وهو في الصلاة فيبل إحليله حتى يريه قد أحدث فمن رأى به ذلك فلينتضح بالماء فمن رأى به من ذلك شيء فليقل هو عمل الماء »[٣] .

وشكا رجل إلى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البول فقال: «إذا توضأت فانضح واله عنه فإنه من الشيطان» [٤] .

وكان مجاهد إذا توضأ نضح فرجه، وذكر أن النبي ﷺ فعله [٥] .

ولهذا استحب بعض العلماء للشخص إذا بال أن ينضح فرجه وسراويله بالماء دفعاً للوساوس التي ربما تقع إذا وجد الشخص في ملابسه بللاً [٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

"ولا ريب أن الشيطان هو الداعي للوسواس، قد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبعوا أمره ورغبوا عن أتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله ﷺ واغتسل كاغتساله لم

---

(١) «هو أن يأخذ قليلاً من الماء فيرش به مذاكيره بعد الوضوء، لينفي عنه الوسواس، وقد نضح عليه الماء ونضحه به، إذا رشّه عليه» ا. هـ، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥/ ٦٩).

(٢) رواه أبو داود في كتاب: «الطهارة»، باب: (في الانتضاح عن سفيان بن الحكم أو الحكم بن سفيان)، رقم: ١٦٦، (١/ ٤٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم :١٧٧٦، (١/ ١٥٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: ١٧٧٧، (١/ ١٥٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: ١٧٧٣، (١/ ١٥٤).

(٦) انظر: كتاب الوسوسة، سليمان الغيامة، ص ٣٤.

يطهر، لم يرتفع حدثه... فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد [١] ... والموسوس يرى أن ذلك القدر لا يكفيه لغسل يديه..." ا. هـ[٢] .

وقد صور ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحال التي ينتهي إليها الموسوس بقوله:

"ثم إنه بلغ من استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون أو ما يقارب مذهب «السوفسطائية» الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات، وعلم الإنسان بحال نفسه من الأمور الضروريات اليقينيات، وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلاً يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه بحيث تسمعه أذنه ويعلمه بقلبه، بل يعلمه غيره منه ويتيقنه ثم يشك هل فعل ذلك أم لا، وكذلك يشككه الشيطان في نيته وقصده التي يعلمها من نفسه يقيناً... ومع هذا يقبل قول إبليس في أنه ما نوى الصلاة ولا أرادها مكابرة منه لعيانه وجحداً ليقين نفسه، حتى تراه متردداً متحيراً، كأنه يعالج شيئاً يجتذبه أو يجد شيئاً في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس وقبول وسوسته، ومن انتهت طاعته لإبليس إلى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته"ا.هـ[٣] .

---

(١) المد: ربع الصاع، وهو رطل وثلث الرطل بالعراقي... وقيل إن أضل الـمُدِّ مُقدَّر بأن يمد الرجل يده فيملأ كفيه طعاماً، انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٠٨).

(٢) مختصر إغاثة اللهفان، لابن القيم، ص ١٢٠، اختصار الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين. ط. الثانية، ١٤٠٩هـ.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٦، وانظر: ما كتبه ابن القيم في حال الموسوسين فهو مهم جداً من ص ١٢٠ إلى ص ١٤٨ من المرجع السابق.

إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي يكيد إبليس العباد لإفسادها كقراءة القرآن، والتحرز من النجاسة، وغير ذلك.

٤ ـ وسواس الخواطر وإشغال القلب:

عن التفكر في العبادة والتأمل في مخلوقات الله بحيث يظل القلب مشتغلاً بدفعها، متحسراً على ما مضى منها، خائفاً يترقب حصوله منها مستقبلاً، وهذه قلما يسلم منها العبد ما لم يجاهد نفسه مجاهدة عظيمة، ولهذا قال ﷺ في الحديث: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه، غفر لـه ما تقدم من ذنبه» (١) .

ولم يسلم من هذه الوساوس حتى نبي الأمة ﷺ (٢) ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلامٌ ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلامِهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ (٣)، وَأْتُونِي

---

* «ولقد رأيت من تبقي الساعات الطويلة، وهي في الوضوء حتى يخرج وقت الصلاة، كلما انتهت من الوضوء يوسوس لها الشيطان أنها لم تحسن الوضوء، أو أنه خرج منها ناقض، وهي في كل ذلك تعيد مرة بعد أخرى حتى يخرج الوقت. نسأل الله العافية.

(١) رواه البخاري في كتاب: الوضوء»، باب (الوضوء ثلاثاً ثلاثاً)، رقم: ١٥٨، (١/ ٧١)، وفيه ذكر صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم عن حمران عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ورواه مسلم في كتاب: «الطهارة»، باب (صفة الوضوء وكماله)، رقم: ٢٢٦ (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: مبحث تعرضه لأنبياء الله بالوسوسة.

(٣) هو عبيد الله – ويقال عامر بن حذيفة القرشي العدوي صحابي مشهور. انظر: الإصابة (٤/ ٧).

بِأَنْبِجَانِيَّةِ [١] أَبِي جَهْمٍ ؛ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاتِي»[٢] وفي رواية: «كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي ».

قال الطيبى [٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"فيه إيذان بأن للصور والأشياء الظاهرة تأثيراً في القلوب الطاهرة والنفوس الزكية، فضلاً عمن دونها" [٤] .

وفي بعض طرق الحديث ورد قوله ﷺ (فأخاف).فدلت على أنه لم يقع منه انصراف عن صلاته، ولكن خشي ذلك، فبادر إلى خلعها وإرجاعها لأبي جهم[٥] .

ودل على أن التوسع في المباحات، والتعلق بالدنيا وملذاتها باب عظيم

---

(١) الأنبجانية «بكسر الباء ويروي بفتحها، يقال كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة، وهي مكسورة الباء... وقيل: إنها منسوبة إلى موضع اسمه انبجان... وهو كساء يتخذ من الصوف، وله، خمل ولا علم لـه، وهي من أدون الثياب الغليظة» النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/ ٧٣(، وانظر: فتح الباري (١/ ٦٣٦-٦٣٧)، وشرح النووي لصحيح مسلم (٥/ ٤٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب (إذا صلى في ثوب لـه أعلام، ونظر إلى علمها)، رقم ٣٦٦، ١/ ١٤٦-١٤٧، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (كراهة الصلاة في ثوب له أعلام)، رقم: ٥٥٦، (١/ ٣٩١).

(٣) «الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبى: من علماء الحديث والتفسير والبيان... كان شديد الرد على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، من كتبه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في معرفة الحديث... وشرح مشكاة المصابيح»، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٦)، وانظر: شذرات الذهب (٦/ ١٣٧).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٦٣٧)، وانظر:صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٤٣-٤٤).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٣٧).

للوساوس والخطرات لا تنقطع إلا بالرمي والمفارقة كما فعل نبينا ﷺ ولنا فيه أسوة [١] .

وقد أرشد نبينا محمد ﷺ أمته لطريق وعلاج ناجح لهذه الوسوسة وذلك بأن يستعيذ بالله العظيم ولينته لئلا يسترسل معه إبليس، إذ لا فائدة من الدفع وإيراد الحجج [٢] ، لأن الإنسان إذا استرسل معها ستفضي به إلى الحيرة فأمر بقطعها على الفور [٣] .

وفي حديث عن عُثْمَانَ بْن أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : (ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهَّ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا) قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُّ عَنِّي » [٤].

---

(١) انظر فيما سبق: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ٤٤-٤٥)، وصحيح مسلم شرح النووي (٥/ ٤٣-٤٤)، ومختصر إغاثة اللهفان، لابن قيم، اختصار الشيخ عبدالله أبابطين، ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢) «أما من خالجته الشبهة وغلب عليه الحس ولم يقدر على الانفكاك عنها فلا بد من مشافهته بالدليل العقلي كما قالصلى الله عليه وسلم : (للذي خالطته شبهة الإبل الجرب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا عدوى، فقال الأعرابي: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فإذا دخل فيها البعير الأجرب أجربها، فقال صلى الله عليه وسلم : فمن أعدى الأول) فأستأصل الشبهة من أصلها» تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣/ ٣٠٨-٣٠٩)، والحديث رواه البخاري في كتاب: «الطب»، باب: (لا صفر وهو داء يأخذ البطن)، رقم: ٥٣٨٧، (٥/ ٢١٦١)، ومسلم في كتاب: «السلام»، رقم: ٢٢٢٠، (٤/ ١٧٤٤).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٤١).

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٣).

ومن علاج الوسوسة العلم : فكلما بصر الله بصيرة العبد بنور العلم زادت قوته في دفع الخواطر والوساوس ومعرفة مداخل الشيطان عليه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه، وعرف طريقه التي يأتيه منها وجيشه الذي يستعين به عليه، وعرف مداخله ومخارجه وكيفية محاربته، وبأي شيء يحاربه، وبماذا يداوي جراحه، وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه، وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم، فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم"(١) .

ومن علاج الوسوسة كثرة الذكر :

قال تعالى:﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ** ﴾(٢) .

وكما في البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : «إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس».

ومن الذكر المشروع في مثل هذا تلاوة سورة الإخلاص كما في الحديث « يوشك الناسُ يتساءلون بينهم حتى يقول قائلُهم : هذا اللهُ خلق الخلْقَ فمن خلق اللهَ عزَّ وجلَّ ؟ فإذا قالوا ذلك ، فقولوا : ﴿**اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصمدُ لم يلِدْ ولم يُولَدْ و لم يكنْ له كُفُوًا أحدٌ**﴾ ثم لْيَتْفُلْ أحدُكم عن يسارِه

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٢٠٦)، دار الفكر.
(٢) سورة الرعد، الآية، ٢٨.

ثلاثًا، و لِيَسْتَعِذْ من الشيطانِ »[١].

ومن علاج الوسوسة لزوم الجماعة :

والبعد عن أسباب الانطواء والحزن، كما سيأتي – إن شاء الله – في طرق الوقاية والتحصين.

ومن علاج الوسوسة لزوم السنة : ـ

إذ لو علم الموسوس أنه بتعنته هذا وربما غلوه في العبادة مخالف لسنة النبي ﷺ فهو إذن آثم وغير مأجور وهو على ضلالة فعليه أن يلزم الجماعة إذن ويدع ما سوى ذلك [٢].

ومن علاج الوسوسة التفكر في خلق الله وعدم التفكر في ذات الله لقصور العقل عن إدراكه كما في الحديث «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»[٣].

ومن علاج الوسوسة: قراءة سورة الإخلاص ، كما سبق.

ومن علاجها: قطع الوسوسة على الفور وعدم الاسترسال معها، إذ لا فائدة من الدفع وإيراد الحجج، لأن ذلك سيفضي بالعبد إلى الحيرة.

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني (١١٨) .

(٢) انظر فيما سبق: مفتاح دار السعادة (١/ ٢٠٦)، (١/ ٢٣٧)، وانظر: بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٣٩٧)، وحماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان، تأليف الأستاذ/ إبراهيم محمد الضبيعي ، ص ٧٥-٧٧.

(٣) ذكره السيوطي في الدرر المنثور وقال: «أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وابن مردويه والأصبهاني في الترغيب عن ابن عمير قال....» وذكر الحديث (٢/ ٤٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٢٩٧٥ (١/ ٥٧٢).

وهذا منهج نبوي كما في قوله ﷺ :«يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول:من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» (١)

ومن علاجها: الاستعاذة بالله.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(٢) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"هي الالتجاء إلى الله تعالى،والالتصاق بجانبه من كل ذي شر و معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان"

وفي سورة الناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾(٣).

فهو المستعاذ سبحانه من شر مخلوقاته، فهو خالقهم ومدبر شئونهم ، وجالب مصالحهم، وله القدرة التامة عليهم، وهوعليم بأحوالهم، وكاشف لكرباتهم.

وتأمل: فيها استعاذة بالله تعالى ربا وملكا وإلها.

وقدم الاستعاذة بالربوبية لعمومها وأخر الاستعاذة بالألوهية لخصوصها

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) سورة المؤمنون، الآية ٩٨.

(٣) سورة الناس الآية: ١-٦.

فنعوذ بالله من شر ما خلق "

ولذا أمرنا بالتعوذ من الشيطان وشركه في كل صباح ومساء

كما روى أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت،وإذا أمسيت، قال« قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره على مسلم قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»(١).الحديث.

ومن الذكر الطارد للوسوسة التكبير كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:« جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّ لأحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إليّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ النبي ﷺ : « اللهُّ أَكْبَرُ، اللهُّ أَكْبَرُ، اللهُّ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ » (٢).

(١) رواه الترمذي في كتاب «الدعوات»، باب: ما يقال في الصباح والمساء)، رقم: ٣٣٨٩، (٩/ ١٠٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» أ. هـ، ورواه أبو داود في كتاب « »، باب: (ما يقول إذا أصبح)، رقم: ٥٠٦٧، (٤/ ٣١٦)، والحاكم في المستدرك، رقم: ١٨٩٢، (١/ ٦٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم: ٢٧٥٣، (٦/ ٥٨٠)، وتفسير ابن كثير، (٤/ ٥١٧)، ط. دار الفكر ، وجامع البيان (٣٠/ ٢١١-٢١٢)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٠/ ٧٧٩، (٤/ ٩٣)، الدر المنثور، للسيوطي (٨/ ٥٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (١/ ٢٣٥)، وأبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب (في رد الوسوسة)،(٥/ ٣٣٦)، بنحوه، وابن حبان في صحيحه، (١/ ٣٦٢)، رقم ١٥٠، ط. الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤٩٠، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وابن خزيمة في صحيحه، رقم ٢٥٥٩.

والحكمة من تكبيره ﷺ ثلاثا- والله اعلم-تنزيهه تعالى عما جال في خواطرهم من الظن السئ فهو سبحاته لا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون".

خامساً: الأَزّ

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (١) .

والأَزُّ في اللغة: "التهيج والإغراء. أَزَّهُ يَؤُزُّهُ: اغراه وهيجه" (٢) .

والمعنى كما ذكره المفسرون:

- تحركهم بالإغواء والإضلال.
- وتغريهم إغراء.
- وتزعجهم إزعاجاً في معصية الله (٣) .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

"تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية. وعنه: تغريهم إغراءً بالشر، أمض أمض في هذا الأمر، حتى توقعهم في النار" ا. هـ (٤) .

وهذا يدل على قوة تسلط الشيطان على العبد إذ هو يؤزه أزًّ ويدفعه دفعاً لارتكاب المحرمات، والمعاصي وأولها الشرك، ولهذا نجد أن أهل الباطل

---

(١) سورة مريم، الآية: ٨٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٠٧).

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٩/ ١٢٥-١٢٦)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١١/ ١٥٠).

(٤) ذكره ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٢٥)، وقال القرطبي بعد ذكره: حكى الاول الثعلبي والثاني الماوردي، والمعنى واحد. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٥٠).

يسارعون مسارعة في نشر الباطل والذب عنه، والدعوة إليه وهذا من أز الشياطين لهم، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا الإرسال إرسال كوني وليس دينيا شرعيا فهو سبحانه «يرسل الشياطين ... على فئة معينة وهم الكفار كما يرسل الريح بالعذاب» [١] .

«ومعنى الإرسال هاهنا: التسليط، تقول: قد أرسلت فلاناً على فلان: إذ سلطته عليه، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾[٢] ، فاعلم أن من اتبعه هو مسلط عليه"[٣]

وللشيطان طريق آخر يؤز به العبد ألا وهو النزغ:

والنزْغُ: هو الإفساد، والكلام الذي يغري بين الناس [٤] : "نَزَغَه: حرَّكه أدنى حركة نزَغ الشيطان بينهم يَنزَغ ويَنزِغُ نَزْغاً أي أفسد وأغرى" [٥] .

قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٦] .

وفي آية أخرى ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[٧]

---

(١) فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان (١/ ٢٣٤-٢٣٦).
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٣) شفاء العليل، لابن القيم، ٦٢-٦٣.
(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٤٥٤).
(٥) المرجع السابق (٨/ ٤٥٤).
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٧) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية: "وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويحملك على مجاراتهم ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾.. فاستجر بالله من نزغه..."ا. هـ[١].

ومن نزغه أيضاً نزغه بين الأخوة والأرحام للإفساد بينهم، قال تعالى في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ " [٢].**وقال تعالى: " وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾**[٣].

في هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بأن يختاروا أحسن القول في كل الأحوال حتى لا ينفذ الشيطان من خلال كلمة جافية تخرج بعد حب ومودة، فيفسد جو الأخوة والمودة، وتحل الجفوة والعداء، لأن الشيطان – أعاذنا الله منه – يتلمس سقطات اللسان وعثراته ليتخذ منها سبيلاً لإفساد الود والنزغ بين المتحابين.

ومن الأزِّ إلى المعاصي المسُّ والطائف، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا**

---

(١) جامع البيان لابن جرير (٦/ ١٥٦)، وانظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٦٧-٢٦٩).
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١] .

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تفسير الطائف على أقوال منها:

فقيل: الغضب.

وقيل: الصرع.

وقيل: الهم بالذنب.

وقيل: إصابة الذنب.

وقيل: ما طاف بالعبد من وسوسة الشيطان [٢] .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

بعد ذكر الأقوال: "لا وجه لخصوص معنى منه دون معنى، بل الصواب أن يعم، كما عمه جل ثناؤه فيقال: إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان... تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره"ا. هـ[٣].

سادساً: الحيرة

"حارَ يَحار حَيْرَةً وَحُيْرا وَحَيرا وحَيَرانا وتَحيَّر واسْتَحارَ: نظر إلى الشيء، فغشي عليه، ولم يهتد لسبيله فهو حَيْران وحائِر" [٤] .قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٦٩)، جامع البيان لابن جرير (٦/ ١٥٧ وما بعدها).

(٣) جامع البيان (٦/ ١٥٨).

(٤) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ٤٨٨، وانظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٢٢).

﴿اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن يدعو من دونه آلهة، كمثل رجل تائه وهناك منادٍ يناديه باسمه واسم أبيه أن اسلك هذا الطريق، وله أصحاب ينادونه أن هَلُمَّ إلينا، فيتبع المناد ويترك أصحابه، فيهلك وتستهويه الشياطين وتجعله في حيرة من أمره [٢] .

وهذه الحيرة التي تعتري العبد تجعله يقع في المعصية، ويعرض عن طريق الحق، ولا يستجيب لمن يناديه إلى الحق والهداية [٣] ، وهي الخطوة الأخيرة من خطوات الشيطان التي لا يعقبها إلا التبرؤ والشماتة من هؤلاء الأتباع. وهي أخطر مرحلة يمر بها الإنسان مع عدوه الكامن إذ يتحدد بعدها مسار العبد إما إلى الهداية، وإما إلى الانحراف، إما جنة وإما نار، نسأل الله العافية والسلامة [٤] .

وهي تحصل لأهل البدع ممن حادوا عن الصراط المستقيم، ونهج الله القويم من أمثال الجهم بن صفوان الذي قيل: إنه «بقي أربعين يوماً لا يصلي شاكاً في ربه لا يقر بوجوده ولا يعبده، ثم خرج بعد أربعين يوماً

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ص ٤٧٩، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار السلام، الرياض.

(٣) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٤) انظر: مكايد الشيطان لعباد الرحمن، تأليف سليمان الدحدوح، ص ١٢١، دار البشائر الإسلامية.

ببدعة الجهمية – والعياذ بالله – حيث أنكر الأسماء والصفات وسلب عن الله تعالى كل صفات الكمال وشبهه بالمعدوم تعالى وتقدس [١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فهذه الحالة كثيراً ما تعرض للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمة، أما المؤمن المحض... فتعرض لـه الشكوك والشبهات وهو يدفعها عن قلبه" [٢] ا. هـ.

ومن هذه الحيرة ما وقع لأبي حامد الغزالي حيث ظل شاكاً لا يعرف الحق محتاراً متردداً بين رغبات الدنيا ودواعي الآخرة، وبين وساوس الشيطان ومنادي الإيمان حتى وصل إلى حالة يصفها بقوله:

"فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مائة، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن ادرس يوماً تصييبا للقلوب المختلفة، فكان لا ينطق لساني بكلمة، ولا أستطيعها البتة، ثم أورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب، بطل معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب، فكان لا ينساغ لي شربه؛ وتعدى إلى ضعف القوى، حتى قطع الأطباء طمعهم عن العلاج وقالوا: "هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج،

---

(١) انظر: العقيدة الأصفهانية (١/ ١٦٧)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٦٣).

(٢) العقيدة الأصفهانية (١/ ١٦٧).

فلا سبيل إليه بالعلاج، إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم" ا. هـ[١] .

ثم بعد ذلك خرج إلى الشام تاركاً التدريس في بغداد، وتاركاً أهله وأولاده، واعتزل هناك قرابة سنتين لا شغل لـه إلا العزلة، والرياضة، والمجاهدة على طريقة الصوفية، وبعد مشوار طويل من السفر والعزلة توصل إلى نتيجة يصفها بقولـه: "علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق... فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة" ا. هـ[٢] .

فتأمل كيف كاده إبليس أولاً بترك التدريس والتعليم وهو من أعظم القربات....

ثم كاده بترك الأهل والأولاد واعتزال الناس لمدة عامين .

ثم كاده أخيراً باعتقاد منهج الصوفية!! وترغيب الناس فيه، وأنه أفضل الطرق على الإطلاق ثم يقول: "ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً يقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال" ا. هـ[٣] .

ولا شك أن زعمه رؤية أرواح الأنبياء، وسماع أصواتهم من الضلال البين

---

(١) المنقذ من الضلال، ص ٨١.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.
(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها.

المخالف لعقيدة السلف، بل ويزعم بعض الصوفية رؤية الأنبياء في اليقظة ومخاطبتهم، كما سيأتي إن شاء الله.

سابعاً: التبرؤ والشماتة

وهذه هي الخطوة الأخيرة التي يعلن فيها هذا اللعين براءته وشماتته بمن اتبعه وأطاعه، إذ يتخلى عنه في أشد الأوقات، بعد أن فارق الناصر، وتصرَّمت الأيام وحيل بينه وبين التوبة والإنابة، قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن كيده للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه إن فيها منفعته، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلَّى عنه ويُسْلِمُه ويَقِفُ يشمت به"ا. هـ[2].

قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [3].

من خلال هذه الآيات الكريمة يتجلَّى موقف هذا العدو، بعد أن فات

---

(١) سورة ق، الآيات: ٢٧-٢٩.
(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٨٧).
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

الأوانُ فنجده يعترف بعدة أمور منها:

١ ـ الشهادة بصدق على أن وعد الله حق، وأن وعوده وأمانيه الباطلة ووساوسه، وتزيينه للكفر والطغيان، ما هي إلا أكاذيب ووعود لا أصل لها.

٢ ـ اتهامهم بأنهم هم السبب في هلاك أنفسهم، إذْ صدَّقوه وانساقوا وراءه مستجيبين طائعين.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ تأنيبهم، وطلبه منهم أن يؤنِّبوا أنفسهم على طاعته. ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾.

٣ـ التخلي التام، ونفي النجدة لهم، ولو صرخوا واستغاثوا.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾.

٤ ـ التبرؤ من شركهم وكفرهم به، ويعلن بصراحة مؤلمة أن العذاب الأليم للظالمين من أمثاله وأتباعه [١] – نعوذ بالله – ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهكذا نهاية خطواته كما قال تعالى:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٠٩٦-٢٠٩٨).

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٦.

وهناك تبرؤ وشماتة بين أتباع الشيطان، بين الرؤساء والطغاة، وبين المتبوعين من العبيد المغلوبين على أمرهم، يقول تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنك لو رأيت حالهم إذ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦-١٦٧.
(٣) سورة سبأ، الآيات: ٣١-٣٣.

وقفُوا عند ربهم واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمراً عظيماً وهولاً جسيماً. يقول:﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ وهم الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ وهم القادة، ولكنكم حلتم بيننا وبين الإيمان وزينتم لنا الكفران فتبعناكم على ذلك.

فتأمل هذا لحوار المؤثر والهول الجسيم، فالكل في العذاب، وهاهم الضعفاء يلقون باللوم على الذين استكبروا حيث إنهم زَيّنُوا لهم الكفر وحالوا بينهم وبين الإيمان.

فيرد الذين استكبروا على الذين استضعفوا بأنهم لم يصدوهم عن الهدي وإنما هم الذين صدوا أنفسهم وكانوا مجرمين، فيرد الضعفاء بقولهم: ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ﴾

ثم ينتهي هذا الحوار الساخن وتلك المراجعة ببراءة بعضهم من بعض، ثم الندامة العظيمة ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ، وهكذا يكون الجزاء من جنس العمل [1] .

ويقول تعالى:﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن (٦/ ٢٨٤-٢٨٦)، للعلامة عبدالرحمن بن سعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، عالم الكتب.

فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (١) .

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ (٢) .

"وتبرأ المتبوعون من التابعين ، وتقطعت بينهم الوصل ، التي كانت في الدنيا ، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله ، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له ، فاضمحلت أعمالهم ، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين ، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة ، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ .

ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها ، فضرتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين ، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه ، فكانت أعماله حقا ، لتعلقها بالحق ، ففاز بنتيجة عمله ، ووجد جزاءه عند ربه " (٣) .

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ٢٧-٣٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٣) تفسير الامام السعدي رحمه الله تعالى (ج / ١ ص ١٤٦)

الباب الثاني

تزيين الباطل ونسيان الحق

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً مكايد الشيطان في تزيين الباطل:

"ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين لـه الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء لـه، حتى يخيَّل لـه أنه يضره... فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة، والآراء المتشعِّبة..." [١] يقول الله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [٢] وأول ما بدأ مع أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث زيَّن لـه المعصية وأوهمه أن هذه الشجرة هي شجر الخلد ومن أكل منها فله الملك والخلود مع تعلق النفس الإنسانية بهذين الأمرين حتى أوقعها في المعصية، ومن ثم أهبطا إلى الأرض.

وللشيطان في هذا التزيين أساليب وطرق كثيرة منها:

أولاً: تزيين الشرك

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ**

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٣٠).

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩-٤٠.

السَّبِيلِ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[١] .

وقولـه تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٢] . وقولـه تعالى:﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣] .

وقوله تعالى على لسان هدهد سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما رأى ملكة سبأ وقومها وهم يعبدون الشمس:

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [٤] .

ومن أساليبه في تزيين الشرك:

١-إيهام المشركين أن هذه الآلهة تشفع لهم عند الله، وأنها تقربهم زلفى من الله، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٥] .

٢- وعده إياهم أنهم إذا ماتوا لا يبعثون.

٣- تسويف التوبة.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٣.
(٤) سورة النمل، الآية: ٢٤.
(٥) سورة يونس، الآية: ١٨.

قال – معلقاً على قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[١]، " يقول تعالى مخبرا عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾قال بعضهم : أقسم بإغواء الله له قلت : ويحتمل أنه بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾أي : لذرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾أي : أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها ، وأؤزهم إليها ، وأزعجهم إزعاجا ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي : كما أغويتني وقدرت على ذلك "[٢].

ثانياً: تزين الحرام وتسميته بأسماء محببة للنفوس

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها، فسموا الخمر: أم الأفراح[٣]، وسموا أخاها بلقيمة الراحة، وسموا الربا بالمعاملة، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية..." [٤]

"واليوم يسمون الربا الفائدة، والرقص والغناء والتمثيل فناً" [٥] .

وفي تزيين الحرام يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.
(٢) تفسير ابن كثير (ج / ٥ ص : ٢١٠)
(٣) أو كما يسمى اليوم: «بالمشروبات الروحية» وهي بالأصح مهلكات الروح.
(٤) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١١٢)، ط. المكتب الإسلامي.
(٥) عالم الجن والشياطين، د. عمر الأشقر، ص ٦٢.

﴿الْكَافِرِينَ﴾[١] .

ومن الأمثلة على ذلك:ـ

أ- تزيين قتل الأولاد ووأد البنات:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[٢] .

وكما زينت الشياطين للمشركين أن يجعلوا لأصنامهم نصيباً من الحرث والأنعام، كذلك أمرتهم بقتل أولادهم وزينت لهم هذا الأمر العظيم المنكر خشية العار أو خشية الفقر فأقدموا عليه مع فحشه[٣] .

قال مجاهد[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة"[٥] .

ب- تحريم الأنعام والحرث:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٥٠١، دار السلام، الرياض.

(٤) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي. مولى بني مخزوم: تابعي مفسر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يوقفه عند كل آية يسأله عنها، الأعلام، للزركلي (٥/ ٢٧٨)، وانظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ١١٧)، ميزان الاعتدال (٣/ ٩).

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٤٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره ص ٥٠١، ط. دار السلام.

بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ (٤) .

روى ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن ابن عباس في قوله:

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٣٨-١٣٩.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٣-١٤٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٣.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ قال: جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء، وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام، فهو قول الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [1] "وقد قيل أن المراد ترك التسمية [2] .

وقد رجح ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول.

والذي يظهر– والله أعلم – أنه لا منافاة بين القولين، فالمشركون يعملون هذا وذاك، فهم قد يجعلون لأصنامهم نصيباً، وهم في الوقت نفسه لا يذكرون اسم الله تعالى إلا مقروناً بأسماء آلهتهم عند ذبح هذه الأنعام، مما هو نصيب الله عز وجل– بزعمهم – وإن كان للآلهة لم يذكروا اسم الله تعالى، تعالى الله عما يعملون ويقولون، وسيأتي تفصيل معنى البحيرة

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٤٠)، وفي إسناده من تكلم فيه، وقد ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٦)، عن ابن عباس بمعناه وقال: «وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد» ا. هـ.

(٢) انظر: جامع البيان لابن جرير (٨/ ٤٢)، وتفسير القرآن، لابن كثير (٣/ ١٠٦).

والسائبة والوصيلة والحام [١] .

وهذا الحال الذي وصلوا إليه من إتباع الشيطان، والعمل بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، إنما هو من عند أنفسهم إذ جعلوا للشيطان سلطاناً على أنفسهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"إن الله لم يجعل لـه عليهم سلطاناً ابتداء البتة، ولكن هم سلطوه على أنفسهم بطاعته ودخولهم في جملة جنده وحزبه فلم يتسلط عليهم بقوته فإن كيده ضعيف، وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم" ا. هـ [٢] .

جـ- ترك التسمية عند الذبح:

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [٣].

وفي الآية دليل على تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، ورد على المشركين الذين كانوا يجادلون في تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه بوحي من الشياطين إذ كانوا يقولون كيف نأكل ما قتلتم ولا نأكل مما قتل الله؟! وهذه حجة شيطانية، أملتها عليهم الشياطين لتدعوهم إلى أكل ما حرم الله من الميتة

---

(١) انظرفي الجزء الرابع من هذه السلسلة (مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد والتوحيد والنبوات والغيبيات)

(٢) عدة الصابرين، لابن القيم الجوزية، ص ١٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

ومما لم يذكر اسم الله عليه [١] .

د- أكل الحرام:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [٢] .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[٣] .ومِنْ أكْلِ الحرام أخْذُ الرشوة، وأكل الرِّبا، وهذا كثير في هذا الزمان.ومن أكل الحرام أكل مال اليتيم، والقمار، والبيوع المحرمة وغيرها كثير.

ثالثاً: تزيين المعاصي

قال تعالى: ﴿**وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ**﴾[٤] .

والمراد بالقرناء: القرين المسلط من الجن والشياطين، يزينون لهم الدنيا ومتعها، ويرغبونهم فيها، فلا خوف ولا رهبة، ونسيان الآخرة والكفر

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، لابن السعدي، ص ٢٣٤، ط. الأولى، ١٤١٦هـ، مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨-١٦٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

بها[١] .

وقيل: إن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾.
حسَّنُوا لهم أعمالهم في الماضي والمستقبل.
وقيل: أنسوهم ذكر الآخرة، وأوقعوهم في الشبه التي تقودهم إلى الكفر والبدع[٢].

ومن أبرز المعاصي التي يزينها إبليس الزنا والفاحشة عموماً .

وبدايتها النظر إلى المرأة الأجنبية فلا يزال يُحَسّنُ المرأةَ في نظر الرجل حتى يوقعه في الفتنة بها . ففي الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » [٣] .

قال العلماء:ـ معناه الإشارة إلى الهوى، والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن، وما يتعلق

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٥٤)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ١٧١)، الدر المنثور، للسيوطي (٧/ ٣٢٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٥٤)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ١٧١)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي (٦/ ٥٧٠-٥٧١).

(٣) رواه مسلم في كتاب النكاح، رقم: ١٤٠٣، (٢/ ١٠٢١).
قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «تحذير: لا يظن برسول الله ﷺ لما فعل ذلك، ميل نفس، أو غلبة شهوة. حاشاه عن ذلك، وإنما فعل ليَسُنَّ، وليقتدى به، وليحسم عن نفسه ما يتوقع وقوعه» ا. هـ. المفهم (٤/ ٩١).

بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له...»ا.هـ[١] .

ثم يعقب النظر الخلوة، فإذا خلا الرجل بالمرأة جند له إبليس شيطاناً يلازمهما، ويغريهما بالوقوع في الفاحشة، ولذلك حذر رسول الله ﷺ من الخلوة بالمرأة.

فقال: «...أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ »[٢].

وحذر من فتنة النساء عموماً فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ على الرجال من النساء» [٣] .

وحث النساء على القرار في بيوتهن ففي حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرَفَها الشيطان»[٤].

وفي رواية: «إن المرأة عورة وإنها إذا خرجت من بيتها اسْتَشْرَفَها الشيطان فتقول ما رآني أحد إلا أعجبته وأقرب ما تكون إلى الله إذا كانت في قعر بيتها» [٥] .

---

(١) شرح مسلم للنووي (٩/ ٩٢٥٤)، وانظر: المفهم، للقرطبي (٤/ ٩٠-٩١).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٥٥٨٦، (١٢/ ٣٩٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب: «النكاح»، باب: (ما يتقى من شؤم المرأة)، رقم: ٥٠٦٩ (٩/ ١٣٧)، ومسلم في كتاب: «الذكر والدعاء»، رقم: ٢٧٤١، (٤/ ٢٠٩٨).

(٤) رواه الترمذي في السنن، كتاب: «النكاح»، في أبواب الرضاع، باب (١٨)، رقم: ١١٧٣، (٣/ ٤٧٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»ا. هـ.

(٥) رواه الطبراني في الكبير، رقم: ٩٤٨١، ٩/ ٢٩٥، وذكره المنذري في الترغيب، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح»ا. هـ، ١/ ١٤١.

والمعنى: "إن المرأة يستقبح بروزها وظهورها، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها، ويغوي غيرها بها، ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة" ا.هـ[١] .

ومن المعاصي التي يزينها إبليس ويشجع على فعلها السرقة : ـ

كما في الأثر «إذا وضع السارق يده في الشيء وضع الشيطان يده مع يده فرفعت البركة» [٢] .

كذلك الشيطان يحرص حتى على صغائر الذنوب لأنه يحقق بها شيء من المكاسب التي يسعى إليها ولذا جاء في الحديث «ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ولكن ستكون لـه طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها»[٣] .

---

(١) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، (٤/ ٣٣٨).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، عن عبدالله بن السر المازني، رقم: ١٥٧٨ (٢/ ٤٠٠).

(٣) رواه الترمذي في كتاب: «الفتن»، باب: (ما جاء في دماؤكم وأموالكم عليكم حرام)، رقم: ٢١٥٩، (٤/ ٤٦١)، دار إحياء التراث العربي، وقال: « هذا حديث حسن صحيح» ا. هـ ، والنسائي في السنن الكبرى، رقم:٤١٠٠، (٢/ ٤٤٤) مطولاً، والمزي في تهذيب الكمال، رقم:٤٤٤٣٢٤٤ (٢١/ ٥٣٩).

رابعاً: تزيين اتباع الهوى

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[١].

وقال تعالى:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٢].

والمعنى أن صاحب الهوى عابد لهواه ومؤتمر بأمره، ومهما رأى قبحه لا ينزجر عن فعله، فلا يهتدي، ولا يستضيء بنور الهداية[٣].

ولهذا روي عن الشعبي قولـه: (إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار)[٤].

والشيطان يزيَّنَ لصاحب الهوى بِدْعَتَه، ويحرضه عليها، ويذكر لـه محاسنها، ويتسلط عليه بقدر ما يعلم من ميل نفسه إلى الهوى حتى يهوي به في النار – والعياذ بالله[٥] – ، وكثير مما يحصل من الخلافات بين الناس، إنما هي بسبب تعظيم الهوى وموافقة النفس على اتباعه، فصاحب الهوى أصم أبكم، فاتباع الهوى نوع من الشرك لأنه يضل الإنسان عن الحق[٦].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ١٥٠)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٢٦٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ١٦٦-١٦٧).

(٤) رواه اللالكائي، رقم: ٢٢٩، (١/ ١٣٠)، والدارمي، رقم: ٤٠٢، (١/ ١٢١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٢٨٩-٢٩٠) الموافقات، للشاطبي (٤/ ١٥٥)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٣٨٢).

(٦) انظر: الهوى وأثره في الخلاف، للشيخ د. عبدالله الغنيمان، ص ٢٠-٢٣، ط. الأولى، ١٤١٢هـ. دار الوطن.

وقد ذم الله تعالى اتباع الهوى في آيات كثيرة منها:

قولـه تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ (١).

قولـه تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾(٢).

قولـه تعالى:﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا ﴾(٣)

قولـه تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ (٤) .

وفي الحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فجميع المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٥) وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة القصص، الآية: ٥٠.

الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ "ا. هـ[١] .

ولهذا إذا حصل خلاف في مسائل الدين، وأدى إلى الفرقة والخلاف والتشاحن والتقاطع فاعلم أنه بسبب الهوى، لأن الخلاف في المسائل وطلب الحق من الطرفين لا يكون سبباً في التقاطع، والنبذ إلا أن كان صاحبه الهوى[٢] .

وقد كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يحذرون من مجالسة أصحاب الأهواء خوفاً من تشرب شبهاتهم وأباطيلهم.

فقد روي عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله:

(لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)[٣] .

خامساً: تزيين حرب المسلمين، وتكذيب الرسل

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٤]

قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآية:" أوهمهم أن اتباعهم إياه، فيما يظنون أنها قربات، مجير لهم حتى قالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٣٨٨-٣٨٩، ط. الثانية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي (٤/ ١٨٦).

(٣) رواه اللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٣٣)، والدارمي في السنن، رقم: ٤٠١، (١/ ١٢١).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

وأفضل الدينين " ا.هـ[١] .

وفي الإعراض وتكذيب الرسل يقول تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٢] .

سادساً: تزيين أعمال الطغاة لأنفسهم، ليصد الناس عن الحق

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[٣] ، والمعنى زين لـه الشيطان الشرك والتكذيبَ، والعُلُوَّ والسخرية بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَصَدَّ الناس عن سبيل الحق بكذبه وتدليسيه[٤] .

سابعاً: تزيين النفاق

قال تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[٥] والمزيِّنُ لهذا الظن إنما هو الشيطان . حيث توهم المخلَّفون من الأعراب أن رسول الله ﷺ لن يعود سالماً إلى المدينة، وأن العدو سيستأصلهم، فلما عادوا قالوا يا رسول الله استغفر لنا قد شغلنا بالأموال والأولاد. وقيل:

---

(١) تفسير البيضاوي، ٣/ ٥٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٧.
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣١٥)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٤٩٢)
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٢.

بل ظنوا أن الله لا ينصر رسله [١].

ثامناً: تزيين المذاهب الهدامة والأفكار المنحرفة كالاشتراكية والرأسمالية

فأصبحت الاشتراكية والرأسمالية دعوة تقدم ورقي وتنظيم لحياة الشعوب والأفراد....قال تعالى: ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [٢].

وفي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خطَّ رسولُ الله ﷺ خطًّا بيدِه ثم قال : هذا سبيلُ الله مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال : هذه السبلُ ليس منهاَ سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾ [٣] ...»[٤].

---

(١) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٤٣٠)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٦٩).

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٤) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٧٤)، والدارمي (٢٠٢).

الباب الثالث

الـفـتـنـة

الفتنة من الشيطان، وسمي الشيطان فتاناً كما في الحديث، عن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «المؤمن أخ المؤمن يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتَّان»(١) .

والأصل في ذلك قولـه تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا** ﴾ (٢).

وكما في الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « وَلَمَّا افْتَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ رَنَّ رَنَّةً أُخْرَى اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جنوده. فَقَالَ : ايْئَسُوا أَنْ تَرُدُّوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِلَى الشِّرْكِ ، وَلَكِنِ افْتِنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَأَفْشُوا بَيْنَهُمْ النَّوْحَ وَالشِّعْرَ » وسمي فتاناً لكونه يخدع الناس بخداعه وغروره (٣) ، ويقال:

"افتتن الرجل، وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله"(٤).

"ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه، بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان" (٥) .

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب (في قطاع الأرضين)، رقم ٣٠٧٠، (٣/ ٤٥١-٤٥٢). وقد ضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ انظر: ضعيف سنن أبي داود، ص ٣٠٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٣) الصحاح الجوهري، (٦/ ٨٧٥).

(٤) المرجع السابق (٦/ ٢١٧٦)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي (٩/ ٢٩٩).

(٥) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١١٨.

وهو يحرص أشد الحرص على فتنة العبد في الحديث الصحيح عن جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ » (١) .

ومن مظاهر الفتن التي يوقع فيها العباد ما يلي(٢):

أولاً: فتنة الكفر والشرك

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (٣) .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "يعني لا يكون شركاً"ا. هـ(٤) .

ومن وسائله العظيمة في إيقاع الناس في هذه الفتنة: سؤال الأموات وبناء المساجد والسرج على القبور والذبح لها والنذر لها... فلا إله إلا الله كَمْ فَتَنَ بهذه الحيل؟ وكم أوقع في حبائله؟ وسيأتي الحديث عنها مفصلاً إن شاء الله .

---

(١) رواه مسلم (٥٠٢٣)

(٢) اقتبست بعض هذه العناوين من كتاب الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، إعداد عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني. دار القاسم، ط. الأولى،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٠٩.

ثانياً: فتنة الحكم بغير ما أنزل الله

حيث مهد لها الشيطان بخطوات ماكرة خفية من خلال حزبه وأعوانه ومن تلك الخطوات:

أ- محاولة إضعاف المحاكم الشرعية في كثير من البلاد الإسلامية تمهيداً لإلغائها.

ب- إبراز علماء بالقوانين الوضعية.

جـ- اتهام الشريعة الإسلامية بالتخلف وعدم التمشي مع التقدم والحضارة[١].

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾[٣].

وفي حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذَهب. فقالَ يا عديُّ اطرح عنْكَ هذا الوثَنَ وسمعتُهُ يقرأُ في سورةِ براءةٌ ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، قالَ أما إنَّهم لم يَكونوا يعبدونَهم ولَكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لَهم شيئًا استحلُّوهُ وإذا حرَّموا

(١) انظر: الشريعة الإسلامية عمر بن سليمان الأشقر،ص ٩٠-١١٠، ط. الأولى ١٤٠٤هـ، ط. دار الدعوة، الكويت.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

عليْهم شيئًا حرَّموه »[١] .

قال فضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

بعد سرده هذه الآيات: "ويفهم من هذه الآيات بوضوح لا لبس فيه أن من اتبع تشريع الشيطان مؤثراً لـه على ما جاءت به الرسل. فهو كافر بالله، عابد للشيطان، متخذ الشيطان ربّاً، وإن سمى اتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء؛ لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظ عليها..." ا. هـ[٢].

ثالثاً: فتنة النساء

قال تعالى:﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٣].

فذكر الله تعالى فتنة النساء أول هذه الفتن، ولهذا جاءت السنة بالتحذير من فتنة النساء، ففي الصحيح عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، إِذَا أَحَدكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَة فَوَقَعَتْ فِي قَلْبه فَلْيَعْمِدْ إِلَى اِمْرَأَته فَلْيُوَاقِعهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدّ مَا فِي نَفْسه»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) .

(٢) أضواءالبيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، ١/ ٣٦٥، نشر مكتبة ابن تيمية، ط. عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (رقم/ ١٤٠٣)

وفي الصحيح: «ما تركتُ بعدي فتنةً أَضَرَّ على الرجالِ من النساءِ »[١]

وكانت أول فتنة بني إسرائيل ثبت في الصحيح عن نبينا محمد ﷺ أنه قال «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[٢] .

ولهذا اتخذهن إبليس مصائد يصيد بهنَّ ضعاف الإيمان، ولا أدل على ذلك من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مع امرأة العزيز...

ومن أساليبه في إيقاع العباد في هذه الفتنة:

أ- إبطال العمل بالشريعة ومحاربة الإسلام والعقيدة الصحيحة، فما من دعوة تدعو لهدم الدين إلا اتخذت من فتن النساء والإباحية الجنسية وسيلة وسلاح قوى لتحقيق أهدافها[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) واللفظ له، و مسلم (٢٧٤٠)

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب (أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء)، رقم: ٢٧٤٢، (٤/ ٢٠٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) انظر: حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبدالرحمن ص ١٠٨، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.
وقد ضرب مثال لامرأة قامت بهذا الدور وهي المسماه «رزين تاج والتي لقبها أستاذها كاظم الرشتي بـ«قرة العين وفرح الفؤاد» وكانت هذه المرأة على جانب كبير من الجمال والذكاء، والفصاحة والبلاغة ولها قدرة عجيبة على التأثير على الرجال، ولما ظهر الميرز على محمد الشيرازي زعيم البابية آمنت به وراسلته أعلنت في مؤتمر (بدشت) أن الشريعة نسخت، وحملت على العقيدة الإسلامية، وأفتتن بها المشاركين، وقامت بعد ذلك بمهاجمة نظام الأسرة في الإسلام، وتعدد الزوجات والطلاق ودعت إلى التبرج

ب- نشر التعري وكشف العورات، وإظهار التبرج والسفور .

قال تعالى في قصة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1] .

وفي هذه الآيات دليل على وسوسة الشيطان لآدم ليكشف عورته التي غطاها هو وزوجه حواء – عليهما السلام – وفي حرصه على كشف عورتهما دليل على أن كشف العورات كناية عن سقوط الحرمة والمنزلة وزوال الجاه [2] .

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب الستر"ا. هـ[3].

"دلت هذه الآية على أن كشف العورة من المنكرات وأنه لم يزل مستهجناً

والسفور، وتعلق بها الميرز وكانت تذهب معه وترافقه، هلكت عام ١٢٦٤هـ، انظر: ص ١٠٨-١١٤.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠-٢٢.

(٢) انظر:الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨٠-١٨١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٣)، تفسير الفخر الرازي (١٤/ ٤٨-٥٠) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٧/ ١٨١).

في الطباع مستقبحاً في العقول"ا. هـ[١] .

وتأمل اليوم ما يحدث في بيوت الأزياء وصالات التجميل التي أصبحت أوكاراً للرذيلة، ودعوة إلى مسخ الفطرة، وتغيير خلق الله بما تنشره كل يوم من موضات وأدوات للزينة وتعرِّى وتبرج فتنت بها كثير من نساء المسلمين، وسقطن ألعوبة بأيدي عملاء المكر وأذنابهم من العلمانية، وأدى ذلك لسفورهن وتبرجهن وفتنة الرجال بهن.

جـ- نشر الاختلاط:

ففي الحديث: «لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ كانَ ثالِثَهما الشّيطانُ »[٢]

وهذه فتنة عظيمة انتشرت في كثير من بلاد المسلمين فمن الاختلاط في التعليم إلى الاختلاط في المستشفيات، إلى الاختلاط في الأماكن العامة والأسواق... وهكذا حتى أصبحت المرأة سلعة رخيصة يلهو بها العابثون، وتتنافس الشركات التجارية في اختيار أجمل النساء لتجعلها دعاية لسلعة ما حتى ولو كانت السلعة إطاراً لسيارة، أو آلة محركة المهم أن تعرض صورة المرأة لتكون دعاية وفتنة.

وهذا نذير فساد عظيم، وهو من أسباب انهيار الأمم والحضارات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، أصل كل بلية وشر،

---

(١) تفسير الرازي (١٤/ ٥٠).

(٢) الجامع الصغير برقم (٢٧٨٠) .

وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة.

ولما اختلط البغايا بعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعين ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفاسير... ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية – قبل الدين – لكانوا أشد شيء منعاً لذلك"ا. هـ[١] .

وقد فطن الأعداء لذلك... فاتخذوا من المرأة وسيلة لإفساد الدين، ولهذا قال أحد كبار اليهود: "كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات"ا. هـ[٢] .

وقال آخر: "يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام وتبدد جيش المنتصرين للدين "ا. هـ[٣] .

يقول الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فغربوا – حسيبهم الله – جماعة المسلمين، وأثخنوهم بجراح دامية في العرض والدين، وأشمتوا بأمتهم الكافرين، وأثموهم، وأبعدوهم عن دينهم، وتولوا هم عن دينهم الحق، وخدموا الكفرة من اليهود والنصارى والملاحدة الشيوعيين وغيرهم، والتقت الداران: دار الإسلام مع دار

---

(١) الطرق الحكمية، ص ٣٢٦.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام، ناصح علوان (١/ ٢٨٧).
(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

الكفر على هذه البهيمية الساقطة..."ا. هـ[١] .

وللمفاسد العظيمة التي تترتب على الاختلاط وضع الإسلام عدداً من الضوابط لحماية الفضيلة ومنها:

١-تحريم الدخول على النساء غير المحارم والخلوة بهن مهما كانت قرابتهن.

٢-تحريم سفر المرأة بدون محرم، والأحاديث في ذلك متواترة، ومنها ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ ثلاثة أيام إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ »[٢] .

٣- تحريم النظر :

الأمر بغض النظر للرجال والنساء، كما نص عليه القرآن في قولـه تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴾[٣] .

وفي الحديث عن أَبي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « إِنَّ اللهَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ

---

(١) حراسة الفضيلة، تأليف الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ١٣٦، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، طبعة الحرس الوطني.

(٢) رواه البخاري في كتاب قصر الصلاة، باب (في كم يقصر الصلاة؟)، رقم: ١٠٣٦، ١/ ٣٦٨، ومسلم في كتاب الحج، رقم: ١٣٣٨، ٢/ ٩٧٥.

(٣) سورة النور، الآيتان، ٣٠-٣١.

المَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ» [١] .

٤-تحريم مس المرأة الأجنبية وتحريم مصافحتها.

٥-تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٦-ترغيب المرأة في القرار في بيتها، وجعله عزيمة شرعية في حقها، وخروجها من البيت رخصة لا تكون إلا لضرورة أو حاجة .

٧-أمر بالاستئذان قبل الدخول حتى على المحارم [٢].

رابعاً الفتنة بالأمرد

وهو مأخوذ من مَرِدَ مَرَدَ أو مُرُدودة وتَمَرَّدَ [٣] .

والأمرد: "الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطرَّ شاربه، ولم تبد لحيته" [٤] .

وقد اتفق العلماء على تحريم النظر إلى الأمرد بشهوة [٥] .

وكان السلف يحذرون من مجالسة الأمرد ، والنظر إليهم، ويقولون هم

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «القدر»، باب: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ رقم: ٦٢٣٨، (٦/ ٢٤٣٨)، ومسلم في كتاب: «القدر»، رقم: ٢٦٥٧، (٤/ ٢٠٤٦).

(٢) انظر: حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ص ٧٤ و ص ٨٤-٨٥، وقاية الإنسان من الجن والشيطان . ص ٢٩٦.

(٣) انظر: لسان العرب، ٣/ ٤٠١، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ١٧٦، التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٦٤٨.

(٤) لسان العرب (٣/ ٤٠١)، وانظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ١٧٦، تفسير القرطبي (١٣/ ٢٠٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥/ ٤١٣) و (١٥/ ٤١٥).

أشد فتنة من العذارى، فروي أن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمنعهم من الدخول إلى مجلسه[١] .

وسفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ :

فقد روى أنه دخل الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطاناً، ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً[٢] .

والمبيت في بيت واحد[٣] وسموهم شبكة الشيطان[٤] ، والأنتان لكونهم مستقذرين شرعاً[٥] .

بل حتى النظر إليه بدون حاجة قالوا بعدم جوازه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : وقد قال كثير من السلف: إنهم ينهون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد... وحرمه طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان، وشدد في ذلك كثيراً جداً...: ا. هـ[٦] .

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ :

"إن النظر إلى الأمرد الحسن من غير حاجة حرام، سواء كان بشهوة أو بغيرها، سواء أمن الفتنة أو لم يأمنها، هذا هو المذهب الصحيح المختار

---

(١) انظر: المرجع السابق (١٥/ ٣٧٥)، والفروع لابن مفلح المقدسي (٥/ ١١٣)، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٩٨)، ونسبه للبيهقي.

(٣) انظر: المرجع السابق، الجزء نفسه والصفحة نفسها.

(٤) انظر: كشاف القناع، لمنصور البهوتي (٥/ ١٦)، والفروع، للمقدسي (٥/ ١١٣).

(٥) انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص ٤٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٨٣)، ط. دار الفكر، وانظر: الفروع لابن مفلح المقدسي (٥/ ١١١)، وسنن البيهقي الكبرى (٧/ ٩٩).

عند العلماء، وقد نصَّ على تحريمه الإمام الشافعي، ومن لا يحصى من العلماء ودليله قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[١] ، ولأنه في معنى المرأة بل ربما كان بعضهم أو كثير منهم أحسن من كثير من النساء، ويتمكن من أسباب الريبة فيه ويتسهل من طرق الشر في حقه، ما لا يتسهل في حق المرأة فكان تحريمه أولى وأقاويل السلف في التنفير منهم أكثر من أن تحصى" ا. هـ[٢] .

وهي فتنة عظيمة، وداء عضال، يبتلى بها بعض الناس بتسويل وتزيين من إبليس –أخزاه الله – وهي بداية فتنة قوم لوط – قبحهم الله –.

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وأما أول من ابتدعه فقوم لوط .. يروى أن أهل المؤتفكات كانوا من أجمل الناس وكانوا أهل كرم وعطاء، فأصابهم القحط فجاءهم إبليس اللعين، وقال: إنما أصابكم ذلك لكرمكم أو نحو ذلك، فقالوا لـه: كيف السبيل إلى المنع؟ قال: اجعلوا السُنَّة – أي العادة – بينكم أنه إذا دخل رجلٌ إلى بلدكم غريب سلبتموه، ونكحتموه في دبره، فإذا فعلتم ذلك لم تقحطوا، فعزموا على ذلك، وخرجوا إلى ظاهر البلد يطلبون من يفجرون به، فتمثل لهم إبليس في صورة غلام أمرد حسن، ففجروا كما علمهم، فطاب لهم ذلك حتى صار عادة لهم في كل غريب، ثم فشا فنفذ إلى أهل البلد أيضاً، فظهر ذلك فيهم من غير إنكار ولا انتقام.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ص ٤٧، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، وانظر: المهذب (٢/ ٣٤).

فأرسل الله سبحانه إليهم لوطاً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكان أكبر المدن سدوم [١] ، فعلمنا أن من فعل الفاحشة فسلفه فيها إبليس وقوم لوط" ا. هـ[٢] .

وقد ابتلي بعض الغلاة من الحلولية بالتعلق بالأمرد، حيث فَطَمُوا أنفسهم عن التعلق بالنساء فصادف التعلق بالأمرد قلوباً خالية، فلَّبس عليهم إبليس هذا الأمر وحسنه لهم "وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يضير بها الصوفية" [٣].

ـ وهم في صحبة الأحداث على سبعة أقسام ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأول: الحلولية حيث زعموا أن الحق تبارك وتعالى حلَّ في أجسام ومن ثم هم يستحلون النظر إلى المرد من هذا الباب.

الثاني: الفساق الذين يدَّعون التصوف، ويتخذونه ستاراً لما هم عليه من الفسق والضلال.

الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المرد حيث يستشهدون بحديث «أطلبوا الخير عند حسان الوجوه» [٤] .

---

(١) سدوم: مدينة من مدن قوم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتقع في الأردن بجوار البحر الميت الآن... انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٣/ ٢٠٠).

(٢) قرع السياط في قمع أهل اللواط، لأحمد بن محمد السفارني، ص ٢١-٢٩، ط. الأولى ١٤١٢هـ، ط. دار الطحاوي، الرياض.

(٣) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٣٣٨.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٩٨٣، (٢٢/ ٣٩٦)، وأبو يعلي في مسنده رقم: ١٩٩، (٨/ ٤٧٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني من طريق يحيى بن يزيد بن عبدالملك النوفلي عن أبيه وكلاهما ضعيف، وحكم عليه شيخنا بالوضع»أ.هـ، انظر: المجر وحين، لابن حبان (١/ ٢٤٨)، دار الوعي ، حلب، وقال الذهبي في سير

الرابع: قوم زعموا أن نظرهم إلى الحسان والأحداث إنما هو نظر عبرة واعتبار، وهذه مكابرة لأن ذلك مخالف لما جُبِلَت عليه النفوس.

وهذه "دسيسة شيطانية...، ولو نظر الشارع الذي هو أعلم بالناس من أنفسهم إلى ذلك لأشار إليه فلما أطلقه ولم يفصل علمنا أنه لا فرق... ولكن من خبثت نفوسهم وفسدت عقولهم وأديانهم ولم يتقيدوا بالشرعيات يزين الشيطان لهم ذلك حتى يوقعهم فيما هو أقبح منه..."[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وقول القائل: أن النظر إلى وجه الأمرد عبادة، كقوله: إن النظر إلى وجوه النساء الأجانب عبادة... ومعلوم أن من جعل هذا النظر المحرم عبادة فهو بمنزلة من جعل الفواحش عبادة. قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ...

بل من جعل مثل هذا النظر عبادة، فإنه كافر مرتد، يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وهو بمنزلة من جعل إعانة طالب الفاحشة عبادة، أو

أعلام النبلاء (١٦/ ٦٢): «إسناده لين» ا. هـ، مؤسسة الهالة، بيروت، لبنان، ورواه الطبراني موقوفاً عن ابن عباس وقال أراه رفعه برقم ١١١١٠ (١١/ ٦٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥)، فيه عبدالله بن خراش وثقة ابن حبان وقال: «ربما أخطأ وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات»ا. هـ، وعلى فرض صحته فليس فيه دليل على جواز النظر إلى الأمرد أو إلى ما حرم الشارع النظر إليه كالمرأة الأجنبية، لدلالة النصوص من الكتاب والسنة على التحريم.

(١) الزواجر، لابن العباس الهيثمي (٢/ ١٤١)، دار المعرفة، بيروت، ط. عام١٩٩٧م.

(٢) سورة الأعراف،الآية : ٢٨ .

جعل تناول يسير الخمر عبادة...؛ فمن جعل المعاونة بقيادة أو غيرها عبادة، أو جعل شيئاً من المحرمات التي يعلم تحريمها من دين الإسلام عبادة، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل...» ا. هـ[١] .

وكان بعض الحلولية يعتقد أن الله تعالى تجلى في هذا الأمرد الذي يعشقه، وربما قبله وقال أنت الله[٢] !!

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وأما من نظر إلى المرد ظاناً أنه ينظر إلى الجمال الإلهي وجعل هذا طريقاً إلى الله – كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة – فقوله هذا أعظم كفراً من قول عباد الأصنام، ومن كفر قوم لوط. فهؤلاء من شر الزنادقة المرتدين الذين يجب قتلهم بإجماع كل أمة..." ا. هـ[٣] .

الخامس: جماعة صحبوا المردان وجاهدوا أنفسهم فيما عدا ذلك من الفواحش.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس في صدها عن الفاحشة، فإن صدقوا، وتم لهم ذلك، فقد اشتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥/ ٤١٣-٤١٤).
(٢) انظر: المرجع السابق ص٢/ ٣٧٨.
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢١/ ٢٥٥).

بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل..."[١].

السادس: قوم لم يصحبوا المرد ولكن تابوا – أي المرد– ثم أرادوا صحبة هؤلاء القوم، فلبس عليهم الشيطان بأن في عدم مصاحبتهم صداً لهم عن الخير، وهذه هي الخطوة الأولى من خطوات إبليس، ويليها تحسينهم والتلذذ بالنظر إليهم، ومن ثم وقوعهم في الفتنة.

السابع: من غلبت عليه نفسه ولم يستطع مجاهدتها حتى قال قائلهم: كل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن [٢] .

ولهذا حرص السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على نجاة أنفسهم من هذه الفتن، فكان سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يدع أمرداً يجالسه وروى عنه قوله: "مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان..." [٣] .

وكان أحدهم إذا جلس الحدث أمامه أمره أن يجلس من خلفه تورعاً وخشية الفتنة في النظر إليه [٤] .

---

(١) تلبيس إبليس، ص ٣٣١.

(٢) تلبيس إبليس ، ص ٣٣٥، وانظر فيما سبق: المرجع نفسه ، من ص ٣٢٤ إلى ص ٣٣٧، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٠٦ وما بعدها)، المكتبة الثقافية، بيروت.

(٣) تلبيس إبليس، ص ٣٣٨.

(٤) انظر: المرجع السابق والصفحة نفسها، وانظر: الزواجر، للهيثمي (٢/ ١٤١).

خامساً: فتنة الأموال والأولاد

فأما الأموال فللشيطان أساليب كثيرة في فتنة العبد بها، حتى يصبح أسيراً وعبداً لدرهمه ودينار ومن ذلك.

أ- تخويف العبد الفقر والحاجة، إذا همَّ بالإنفاق:

قال تعالى:﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾ (١) .

حتى يجعله يمنع الحق الواجب في ماله سواء كان الحق لله من زكاة ونحوها، وسواء كان من حقوق الخلق كنفقة الأهل والأولاد، فربما كثر مال العبد وهو يشح بالقليل منه في حق واجب عليه

ب- التكاثر والتفاخر بالأموال:

قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (٢) .

وقد اختلف العلماء فيمن هو المزين لهذه الشهوات فقيل: إن المزين هوالله تعالى، **قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ** :

"وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ "ذكره البخاري (٣) .

وقال آخرون ونقل عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "أن المزَّين لهذه الشهوات هو

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ٢٨، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي (٢/ ١٦٠-١٦١).

الشيطان، وقيل: تزيين الله تعالى لها بالإيجاد والتهيئة للانتفاع وإنشاء الجبلة على الميل إلى هذه الأشياء. وتزيين الشيطان إنما هو بالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجهها" [١] .

وهذا أجمع الأقوال، إذ قد ثبت في آيات أخرى تزيين الشيطان للفتن، وتزيينه للمعاصي بوسوسته وإغوائه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢] .

وأما المراد «بالقناطير»: فهي جمع قنطار وقيل: أن مقداره ألف ومائتا أوقية، وقيل: اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، وقيل: سبعون ألفاً [٣] .

وقيل: "العقدة الكبيرة من المال"[٤]، وجميع هذه الأقوال تدور حول الكثرة، فالإنسان إذن قد حُبِّبَ إليه جمع الأموال والتفاخر بها، وتكثيرها. قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[٥] .

أي "أشغلكم حُبُّ الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها،

---

(١) المرجع السابق، الجزء نفسه والصفحة نفسها، وانظر: للاستزادة تفسير الفخر الرازي (٧/ ٢٠٨ وما بعدها)، فقد أطال في ذكر خلاف المعتزلة في هذه الآية.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٣) انظر: جامع البيان لابن جرير (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، زاد المسير (١/ ٣٥٨-٣٥٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٢/ ١٦١-١٦٢)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٧-١٨)، تفسير الثعالبي (١/ ٢٤٩)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠)، الأنوار الساطعات لآيات جامعات للشيخ عبدالعزيز السلمان (١/ ١١٠)، ط. الرابعة، ١٤١١هـ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٠).

(٥) سورة التكاثر، الآيتان: ١-٢.

وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها"[١].

والتكاثر يشمل كل ما يتكاثر به من أموال وأولاد وتفاخر بالأنساب وتشاغل بالكسب والتجارة وغير ذلك [٢] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ:« يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِيَ مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ » [٣] .

وفي الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ الْتَمَسَ مَعَهُ وَادِيًا آخَرَ وَلَنْ يَمْلَأَ فَمَهُ إِلَّا التُّرَابُ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُّ عَلَى مَنْ تَابَ» [٤] .

وفي رواية مسلم: «لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً...» [٥] .

وقد ثبت في الحديث أن لكل أمة فتنة وأن فتنة هذه الأمة في المال، كما في حديث كعب بن عياض قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير (٧/ ٣٥٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٨٥)، زاد المسير، لابن الجوزي (٩/ ٢١٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٨/ ٦٠٩-٦١١)، فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٤٨٨-٤٨٩)، محاسن التأويل، للقاسمي (١٧/ ٢٤٢)، تحقيق وتخريج: فؤاد عبدالباقي. دار الفكر، بيروت.

(٣) رواه مسلم في كتاب: «الزهد والرقائق»، رقم: ٢٩٥٩، (٤/ ٢٢٧٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب: «الرقائق»، باب: (ما يتقى من فتنة المال)، رقم: ٦٠٧٥، (٥/ ٢٣٦٥).

(٥) رواه مسلم في كتاب: «الزكاة»، رقم: ١٠٤٨، (٢/ ٧٢٥).

فتنةً فِتنَةُ أُمَّتي المَالُ »[١] .

والمعنى أنه فتنة أي ضلالاً لمن ألهاه عن ذكر الله وشغله عن القيام بالطاعة وأنساه الدار الآخرة[٢] .

ومن هنا فربما أشغلته عن عبادة الله حتى يصبح عبداً للمال من دون الله فغضبه لـه، وفرحه من أجله، ومحبته فيه، وبغضه فيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ ، وَالقَطِيفَةِ ، وَالخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»[٣] .

فإذا تعلق قلبه به إلى هذا الحد وقع في ثَلاث فتن عظيمة دلّ عليها حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان قال: لن ينجو مني الغني من إحدى ثلاث؛ إما أزينه في عينيه فيمنعه عن حقه، وإما أن أسهل لـه سبيله فينفقه في غيره حقه،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب: «الزهد»، باب: (ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال)، رقم: ٢٣٣٦، (٧/ ٨٧-٨٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب» ا. هـ.
ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٣٢٢٣، (٨/ ١٧)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٧٨٩٦، (٤/ ٣٥٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٦/ ٦٣٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب: «الجهاد»، باب: (الحراسة في الغزو)، رقم: ٢٧٣٠، (٢/ ٣٢٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه في الباب نفسه من طريق آخر بنحوه، وزاد: (تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع).

وإما أن أحببه إليه فيكسبه بغير حقه» [١] .

وهذه الفتن الثلاث هي : ـ

الأولى: شدة محبة المال والتعلق به، وصرف العمر في جمعه، واحتمال المشاق والمتاعب في سبيل جمعه وحفظه، وفي الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَاب»[٢]

الثانية: طلب المال من أي وجه كان سواء حلالاً أو حراماً، ولهذا جاء في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» [٣] .

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا الحديث:

"فهذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا. وإن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين... ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد»، رقم: ٥٤٩، ص ١٩٢، والبزار في مسنده، رقم: ١٠٣٠، (٣/ ٢٤١)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٢٨٨، (١/ ١٣٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب: «الرقاق»، باب: (ما يتقى من فتنة المال)، رقم: ٦٠٧٢، (٥/ ٢٣٦٤)، ورواه مسلم في كتاب: «الزكاة»، رقم: ١٠٤٩، (٢/ ٧٢٦)، عن ابن عباس بنحوه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦)، والترمذي في كتاب: «الزهد»، باب رقم: ٤٣، (٤/ ٥٨٨)، رقم: ٢٣٧٦، وقال: حسن صحيح ا. هـ.

المذكورين، والحالة هذه إلا قليل"ا. هـ[١] .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها"ا. هـ[٢] .

الثالثة: تضييع العمر الذي هو أنفس شيء في جمعه وتحصيله.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة لـه، وقد كان تمكن صاحبه فيه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتي منه إلا ما قُدِّر وقُسِّمَ" [٣] .

جـ- يسول لـه بأن هذا المال إنما جمعه وحصل عليه بجهده وكده الشخصي فيمنع حق الله فيه، ويكفر النعمة.

كما في قصة الثلاثة النفر في الصحيحين، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى،

---

(١) شرح حديث (ما ذئبان جائعان..) لابن رجب مطبوع ضمن الرسائل المنيرية، (٢/ ١)، ط. عام ١٣٤٦هـ، توزيع مكتبة طيبة.

(٢) زاد المسير (١/ ٣٦٠).

* وتأمل الآن في هذه الزمان كيف أصبح تكالب الناس على جمع المال بأي طريق، وبأي وجه حتى وصل بهم الحال إلى التنافس على القماروالربا والوسائل المحرمة .

(٣) شرح حديث (ما ذئبان جائعان) لابن رجب (٢/ ٢)، ضمن الرسائل المنيرية.

بَدَا[1] للهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، - أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ -، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا

(١) أي بمعنى سبق في علم الله الأزلي فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً، لأن ذلك محال في حق الله تعالى، وقد رواه مسلم بلفظ (أراد الله أن يبتليهم) فلعل التغيير فيه من الرواة، انظر: فتح الباري (٦/ ٦٢١).

فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ[1] اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ »[2] .

حيث فتنا هذين الرجلين الأبرص والأقرع بهذا المال ونسبا الفضل في إيجاده إلى جهدهما، وجهد آبائهما ناسين أو متناسين فضل الله وإكرامه عليهما بهذه النعم، وهذا بلا شك بتسويل وتزيين من إبليس – أخزاه الله.

وهكذا حال صاحب الجنتين كما قصَّ الله سبحانه وتعالى قصته في سورة الكهف في قوله تعالى:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ

---

(١) أي «لا أحمدك على ترك شيء تحتاج إليه من مالي»، وقيل: «لا أشق عليك في رد شيء تطلبه مني»، فتح الباري (٦/ ٦٢٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب: «الأنبياء»، باب: (حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل)، رقم: ٣٢٧٧، (٣/ ١٢٧٦)، ومسلم في أوائل كتاب: «الزهد والرقائق»، رقم: ٢٩٦٤(٤/ ٢٢٧٥-٢٢٧٧).

﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (١) .

وفتنة قارون، قال تعالى في وصف أمواله وكنوزه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٢) .

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (٣).

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله"ا. هـ (٤) .

فادعى أن هذا المال، جاءه لمكانته عند الله واستحقاقه لـه (٥) ، فقال: "لو لا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال" (٦) .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٣٤-٣٦.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٨.
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٩٨).
(٥) انظر: المرجع السابق (٥/ ٢٩٨-٣٠٠)، جامع البيان، لابن جرير (١١/ ١١٣).
(٦) رواه ابن جرير عن الإمام عبدالرحمن بن زيد بن اسلم (٢٠/ ١١٣)، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبدالرحمن بن زيد بن أسلم» ا. هـ (٣/ ٤٠١)، د. دار الفكر، وانظر: زاد المسير فقد ذكر أقوالاً أخرى (٦/ ٢٤٢).

وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه راضياً، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطاً"ا. هـ[١].

ومن الفتن التي يفتن بها الشيطان عباد الله فتنة الأولاد وقد أشار ﷺ إلى هذه الفتنة كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس فخرج الحسن بن علي في رقبته خرقة يجرها فعثر فسقط على وجهه فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذو الصبي فأتوا به فحمله فقال: «قاتل الله الشيطان إن الولد فتنة والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أتيت به»[٢].

وللشيطان أساليب في إيقاع العبد في فتنة الأولاد، وذلك من خلال:

أ- شدة المحبة والتعلق بالأولاد، فلربما أمروه بالمعصية، وربما فعلها، أو ترك واجباً من أجل أولاده، ولهذا يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[٣].

جاء في سبب نزولها عن ابن عباس سأله رجل عن هذه الآية. قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم

---

(١) جامع البيان، لابن جرير (١١/ ١١٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٢٦٢٦، (٣/ ٤٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٥): «رواه الطبراني عن شيخه حسن ولم ينسبه عن عبدالله بن علي الجارودي ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات»أ.هـ.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٤.

وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول ﷺ الله فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أصحابهم قد فقهوا في الدين. همَّوا أن يعاقبوهم فأنزل الله هذه الآية[١].

ب- هناك طريق آخر للشيطان لفتنة الوالد بالولد، إذ ربما لم يستطع له من الطريق الأولى فيأتيه من طريق أخرى وهي من خلال إفساد الولد وطغيانه، حتى يكون سبباً في فساد الوالد، ولو بعد حين، وهذا مثال واضح لما عليه الغلام الذي قام الخضر بقتله حيث يقول تعالى: ﴿ **وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا** ﴾[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ـ

" هذا الغلام كان اسمه حيثور . وفي الحديث عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ﷺ قال « الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا " رواه ابن جرير من حديث ابن إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس به ؛ ولهذا قال " فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا » أي :

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٨/ ١٢٤)، والحاكم (٢/ ٤٩٠)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي وابن أبي حاتم في تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦)، وقال مقبل الوادعي: «حديث حسن صحيح»، انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول،ص١٦١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

* ونحن نشاهد اليوم الكثير من الآباء والأمهات تساهلوا في إحضار آلات اللهو ووسائل الشر إلى بيوتهم تحت إلحاح أبنائهم وبناتهم، وتساهلوا في مراقبتهم والحزم معهم في علاقاتهم ولباسهم كل ذلك من باب الشفقة والرحمة.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٠.

يحملهما حبه على متابعته على الكفر . قال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث « لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له» .

وقال ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[١] [٢] .

قال تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾ [٣] .

فينبغي على العبد أن يحرص على نجاته من هاتين الفتنتين، فربما ينفع الله العبد بهما نفعاً عظيماً، إذا هو صرف المال في حقه، وأنفقه في وجوه الخير، وكذلك الولد إذا أحسن تربيته، فقد يكون عبداً صالحاً ينفع الله به العبد حتى بعد موته [٤].

سادساً: الفتنة بالتعلق بالبدع والمعاصي

وفي الصحيح عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:« إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَتَمَثَّلُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنْ الْكَذِبِ فَيَتَفَرَّقُونَ فَيَقُولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ وَلَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله (ج ٥ ص : ٥٠٤)
(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٥.
(٤) انظر: كتاب الفتنة، لعبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني، ص ٢٧٩ وما بعدها.

يُحَدِّثُ» (١)

فالشيطان يروج للبدع التي هي بريد الكفر – كما سبق – وكذلك المعاصي هي وسيلة من وسائل إبليس التي يصد بها العباد عن الخير، فهو أولاً يزينها ويحسِّنها حتى تصبح هي الطابع الغالب على حياة الناس، ومن خلالها يتوصل إلى ما يريد من إفساد المعاملات، وانتشار الجهل بالدين، ونشوء الخلافات والفرقة وارتفاع نسبة الجرائم والأمراض الجسمية والنفسية ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ (٢) .

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا أصبح إبليس بثّ جنوده فيقول من أضلّ مسلماً ألبسته التاج قال فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى عق قال يوشك أن يبر، قال: ويقول القائل لم أزل بفلان حتى شرب، قال: أنت، قال: ويقول لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، قال ويقول: لم أزل بفلان حتى قتل، قال: أنت أنت ويلبسه التاج»(٣).

وكذلك أصبح الكثير من الناس اليوم إيمانه كإيمان المرجئة، فهو يرتكب

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٨٦٣) باب حفظ اللسان والغيبة.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم: ٦١٨٩، (١٤/ ٦٨)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٨٠٢٧، (٤/ ٣٩٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: ٣٤٨٢٢، (٧/ ١٤٢) مختصراً.

أكثر المعاصي ويزعم أن الإيمان كامل في قلبه.قال سبحانه محذراً من يخالف أمره: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"أي عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته..." (٢) .

والفتنة المراد بها الكفر أو البدعة والنفاق (٣) .

سابعاً : الفتنة بالدخول على السلاطين

جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أناساً من أمتي سيفقهون في الدين ويقرؤون القرآن، ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتز بهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد (٤) إلا الشوك؛ كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا» (٥) .

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ١٣١).

(٣) انظر: المرجع السابق، وجامع البيان، لابن جرير (١٠/ ١٧٨).

(٤) القتاد: شجر معروف بشوكه لـه سِنْفَة وجناة ينبت بنجد وتهامة. انظر: لسان العرب (٣/ ٣٤٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٤٣)، والترمذي في كتاب: «الفتن»، باب: (تحريم إعانة الظالم)، رقم: ٢٢٦٠، (٧/ ٣٨)، وقال: «هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث مِسْعَر إلا من هذا الوجه»ا. هـ.
وفي لفظ عن الطبراني: (أن أناساً من أمتي يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم الشيطان يقول....) الحديث.

وفي الحديث الآخر: «سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني، وأنا منه وهو وارد على الحوض» (١).

ثامناً: الفتنة بالمسيح الدجال

وقد ثبت في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
«خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنْ الدَّجَّالِ وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ : " إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِينًا، وَيَعِيثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ، أَيُّهَا النَّاسُ فَاثْبُتُوا، فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ،

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة، باب: (الانتفاع بالعلم والعمل به)، رقم: ٢٥٥، (١/ ٩٣-٩٤).
قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٩٦)، رواه ابن ماجه ورواته ثقات. ا. هـ.
وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وقال: «إسناده ضعيف من أجل عبيد الله هذا، وهو عبيد الله بن المغيرة بن أبي بردة»ا. هـ. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، رقم: ١٢٥٠، (٣/ ٤٠٤).

فَيَقُولُ : أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ، فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ، لِأَعْرَابِيٍّ : أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ : يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولَ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ مَنْ رَبُّكَ : فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ »[1] .

(١) رواه ابن ماجه في كتاب: «الفتن»، باب: (فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج)، رقم ٤٠٧٧، (٢/ ١٣٥٩-١٣٦٠)، وأصله في الصحيحين. ورواه الحاكم في مستدركه، رقم: ٨٦٢٠، (٤/ ٥٨٠-٥٨١)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي» ا. هـ، وهو في صحيح الجامع، رقم: ٧٨٧٥، (٢/ ١٣٠٠-١٣٠١).

الباب الرابع
إلقاء الشبهات

وقد بين تعالى، إن الشيطان يضل العباد بالشبه والمتشابهات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾[١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"هذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، ولهذا قال تعالى في شأنهم وأشباههم﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي علم صحيح ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ الآية،قال مجاهد: يعني الشيطان..."ا.هـ[٢].

وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٦١٣).

﴿بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (١) .

وقد سبق الكلام حول معنى هذه الآية .

وفي الحديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ يَقُولُ:« إِنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهِّ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب »(٣) .

"وفي الحديث ثناء على من اتقى الشبهات، وأنه قد (استبرأ لدينه وعرضه) أي طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين"(٤) .

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٥٢، ٥٣.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبدالله، كان أول مولود ولد في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، ولي الكوفة في عهد معاوية ثم حمص، قيل إنه قتل سنة ٦٥ في معركة مرج راهط وقيل قتله مروان بن الحكم... روى ١٢٤ حديثاً، وكان من أجلاء الصحابة وشعرائهم خطيباً مقوهاً. انظر الإصابة (٦/ ٢٤٠)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٤٤٧)، الأعلام (٨/ ٣٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب: «الإيمان»، باب: (فضل من استبرأ لدينه)، رقم: ٥٢، (١/ ٢٨-٢٩)، ومسلم في كتاب: «المساقاة»، رقم: ١٥٩٩، (٣/ ١٢١٩-١٢٢٠) واللفظ لمسلم.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٧١، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

ومن وسائل الشيطان في إفساد الاعتقاد بإلقاء الشبهات ما يلي:

أولاً: التشكيك

كما أخبر تعالى عن حال من يتبع المتشابه في قولـه عز وجل: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾[١].

والزيغ: الشك [٢].

وفي حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته » [٣].

وقد تعاظم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما وجدوه في أنفسهم من هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان في قلوبهم ليشتبه عليهم الحق، كما في حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ؟ قَالَ : وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ [٤] [٥].

ومن ذلك التشكيك في العبادة والطهارة حتى يفسد على العبد عبادته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٢٦٥.
(٣) رواه مسلم (١٣٤).
(٤) صحيح مسلم (١ / ٣٢٥) .
(٥) وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في مكايده في إيقاع البشر في الكفر والشرك (الجزء الثاني) .

ثانياً: الخوض في متشابه القرآن

"المتشابهة: ما لم يتلق معناه من لفظه، وهو على ضربين: أحدهما إذا رد إلى المحكم عرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته" (١) .

وعرفه ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه: "ما اختلف فيه حله أو تحريمه..." (٢) .

وقيل: ما احتمل وجوهاً كثيرة من التأويل لخفاء معانيه بحيث يلتبس على الأفهام والعقول (٣) .

ومن هذه التعاريف نستنتج أن المتشابه به من الخفاء وعدم الوضوح ما يجعله ملتبساً على الأفهام، وتختلف بناء على ذلك العقول في فهمه واستيعابه، فهو إذن مجال للشيطان للتشكيك وإفساد الاعتقاد.

وفي الصحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ:« تَلاَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهَّ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٥٠٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٦٧، ط. الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٢٦٦)، الفتنة وموقف المسلم منها، لعبد الحميد السحيباني، ص ٣١٣.

فَاحْذَرُوهُمْ» [١]

ولهذا قال بعض السلف أن المتشابه من الغيب الذي أستأثر الله بعلمه، وأثر عن مجاهد قوله أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، والمراد يعلمون تفسيره ومعناه، وأما الكيفية والمراد منه فلا يعلمه إلا الله، وكلا القولين قد أثر عن الصحابة – رضوان الله عليهم[٢] .

وقد اختلف المفسرون رَحِمَهُمُ اللَّهُ في المراد بالفتنة في تفسير قولـه تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾

فقال بعضهم: الكفر والشرك.

وقيل: إفساد ذات البين.

وقيل: الإضلال.

وقيل: إرادة الشبهات واللبس، ورجحه ابن جرير [٣] .

وكلها حق فالفتنة تشمل الكفر وما دون الكفر، وهذه كلها وسائل إبليس

---

(١) رواه البخاري في كتاب: «التفسير»، باب: (سورة آل عمران)، رقم: ٤٥٤٧، الفتح (٨/ ٢٦٥).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٣/ ١٧٤، ١٧٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٨) ط. دار الفكر، الرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٦٩)، شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن عيسى (٢/ ١٣)، الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١١٠ وما بعدها.

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٣/ ١٨٠-١٨١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ١٣-١٥)، زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٣٥٤)، فتح القدير، للشوكاني (١/ ٣١٥)، روح المعاني، للألوسي (٢/ ٥)، البحر المحيط (٢/ ٣٨٣-٣٨٥)، في ظلال القرآن (١/ ٣٩٦).

لفتنة العباد فهو يهدف إلى الكفر فإن عجز عنه سلك ما دونه.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سيكون أقوام يجاد لونكم بمتشابه القرآن، فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل» (١).

وما ضلت أكثر الفرق الإسلامية إلا بخوضهم في متشابه القرآن والتعسف في تأويله وليِّ أعناق النصوص لتتمشى مع آرائهم ومذاهبهم الباطلة «وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل من تفسير الحروف المشكلات في القرآن، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة، فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلاً أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن»(٢).

ومن الأمثلة على ذلك قصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :« أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عَسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ

(١) الشريعة للآجري، ص ٧٤، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر أنصار السنة المحمدية.

(٢) أحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ١٤)، وقد نسبه القرطبي لأبي بكر الانباري رَحِمَهُ اللَّهُ .

الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي»[١].

ثالثاً: المجادلة بالباطل

الجدال هو المراء، «وهو المعارضة على سبيل المنازعة والمغالبة. وأصله من جدل الحبل: أحكم فتله» [٢]

وهو طريق يسلكه ضعاف الإيمان لإبطال الحق.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جدلًا بل هم قوم خصمون** ﴾ [٣] .

عن مسلم بن يسار [٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته»[٥] .

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٢٥٢، تحت رقم ١٤٦)، والآجري في الشريعة (١/ ٤٨٣)، رقم (١٥٣)، (٥/ ٢٥٥٦، تحت رقم ٢٠٦٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧٠٢، تحت رقم ١١٣٧ - ١١٣٨).

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ٧٩، بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، (٢/ ٣٧٣).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٨.

(٤) مسلم بن يسار الأموي بالولاء أبو عبدالله: فقيه، ناسك من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها وتوفي فيها. الأعلام، للزركلي (٧/ ٢٢٣)، انظر ترجمته: تهذيب التهذيب، (١٠/ ١٢٧)، حلية الأولياء، لأبي نعيم (٢/ ٢٩٠)، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٥) رواه الآجري في الشريعة، ص ٥٦.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ (١) .

ويقول جل شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ (٢) .

وهذا لفظ عام يدخل فيه كل من يجادل بغير علم، كمن يجادل في ذات الله تعالى أو ربوبيته تعالى أو ألوهيته وأسمائه وصفاته، ومن يجادل في أن عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ابن الله، وكذلك من ينكر البعث، ومن يجادل في الملائكة الكرام، وهكذا كل مساوئ الاعتقاد (٣) .

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٨.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٩)، وانظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ١٥-١٦).

* أقول: ومن هؤلاء المجادلون بالباطل ما نسمع اليوم ونقرأ من فئة من المتعالمين متسترين بأنهم يريدون الحق ورفع الظلم ، مدعين أن لكل زمان ظروفه وأحواله، وأن الشريعة لابد أن تتمشى مع العصر ومتطلباته، وأن هذه الأحكام الشرعية قد مَّر عليها أربعة عشر قرناً من الزمان، فلابد من تطويع وتأويل النصوص بما يتناسب مع الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وأنقل هنا كلاماً رائعاً للعلامة المحدث أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تعليقه على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (إن الله يبغض كل جَعْظَرِي جَوَّاظٍ سَخَّاب بالأسواق، جيفه بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة)، فقال: «وهذا الوصف النبوي الرائع، الذي سما بتصويره إلى القمة من البلاغة والإبداع، لفئام من الناس تجده كل يوم في كثير ممن ترى حولك، ممن ينتسبون إلى الإسلام، بل تراه في كثير من عظماء الأمم الإسلامية، عظمة الدنيا لا الدين، بل قد تجده فيمن يلقبون منهم أنفسهم بأنهم علماء ينقلون اسم العلم عن معناه الإسلامي الحقيقي، المعروف في الكتاب والسنة، إلى علوم من علوم الدنيا والصناعات والأموال،

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١).

رابعاً: الطعن في صدق الأنبياء، والتعرض لهم عند تبليغهم لرسالة الله:

لصد الناس عنهم وإيهام المعنى على غير مراد الرسول ﷺ، وذلك بإلقاء الشبهات على ما يقولون، وعلى ما يدعون إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

ثم يملؤهم الغرور، فيريدون أن يحكموا على الدين بعلمهم الذي هو الجهل الكامل، ويزعمون أنهم أعرف بالإسلام من أهله، وينكرون المعروف منه، ويعرفون المنكر ويردون من يرشدهم، أو يرشد الأمة إلى معرفة دينها رداً عنيفاً، يناسب كل جعظري جواظ منهم. فتأمل هذا الحديث واعقله تراهم أمامك في كل مكان»ا. هـ. تخريج صحيح ابن حبان، ١/ ٢٣٠، نقلاً من حراسة الفضيلة للشيخ بكر أبو زيد، ص ١٣١-١٣٢.

ثم علق الشيخ بكر أبو زيد - حفظه الله - على كلامه بقوله: «ولا نرى موضعاً صحيحاً لهؤلاء الجناة إلا جعلهم في محاضن التعليم لآداب الإسلام، تحت سياط المعلمين، ومؤدبي الأحداث» ا. هـ، حراسة الفضيلة، ص ١٣٢.

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

الباب الخامس
الصــدَّ

فالشيطان – أخزاه الله – قد وقف للعباد يصدُّهم عن كل خير، فقد قعد متربصاً لهم على جميع أبواب الخير، وأعمال الطاعة كما في الحديث: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ ، فَقَالَ : تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ ، وَسَمَاءَكَ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ [1]، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ ، فَقَالَ : تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَتُقَاتِلُ ، فَتُقْتَلُ ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ ؟! فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَنَ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ » .

وهذا تفسير[2]لقولـه تعالى ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن**

(١) الطِّول: «هو الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد، أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى، ولا يذهب لوجهه، وهذا من كلام الشيطان ومقصوده أن المهاجر يصير كالمقيد في بلاد الغربة لا يدور إلا في بيته، ولا يخالطه إلا بعض معارفه... بخلاف أهل البلاد في بلادهم» انظر: شرح السيوطي، وحاشية السندي على سنن النسائي (٦/ ٢٢).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٤).

﴿ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (١) .

وفي تفسير قولـه تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "لأجلسنَّ لبني آدم صراطك المستقيم، يعني: طريقك القويم، وذلك دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه"ا. هـ (٢) .

وجزم الماكر أنه سوف يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي «أي من جميع وجوه الحق والباطل» (٣) .

قال تعالى محذراً عباده من صد هذا العدو العباد عن صراط الله المستقيم:

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤).

وله في الصد سبيلان هما:

الأول: الإغراء:

وهو الحث والتحسين للفعل المشين وتزيينه للعباد حتى يسارعوا إليه، ولا يستطيعون تركه.

ومن وسائله في ذلك شرب الخمر وسائر المخدرات.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦-١٧.
(٢) جامع البيان، لابن جرير (٥/ ١٣٤)، وانظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١٩٢).
(٣) المرجع السابق (٥/ ١٣٧).
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٦٢.

﴿ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢) .

والخمر: "اسم شامل لكل سكر" (٣) .

وسميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي تخالطه، وقيل: تستره وتغطيه (٤) .

وقولـه تعالى: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: نقص للدين، وقيل: أذية الناس بما ينالهم منه إذا سكر، وقيل: الإثم وقوع العداوة والبغضاء بين الناس (٥) .

وقد وصف الله الأربعة بأنها رجس، ثم خص من بينهما الخمر والميسر بمزيد من الخصوصية، وهي أن الشيطان يريد أن يوقع بين الناس بشرب الخمر ولعب الميسر العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله والصلاة؛ ولهذا هددهم إن لم ينتهوا عنها وعلق على ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة(٦).

ومن وسائله لعب الميسر وما شابهه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠-٩١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.
(٣) زاد المهاجر، لابن القيم (١/ ١٢).
(٤) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٢٣٩).
(٥) انظر: المرجع السابق (١/ ٢٤٠).
(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٣٢٥).

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١] .

فحرم الله تعالى الميسر وجعله رجساً من عمل الشيطان، والميسر هو القمار، وهو الضرب القداح، فكانت تسمى ياسر وياسرون ويسر وأيسار [٢] .

ورجس أي: «إثم ونتن، سخطه الله وكرهه لكم من عمل الشيطان» [٣] ، أي تزيينه فهو الداعي والمزين [٤]

قال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيقمر ويبقى حزيناً سليباً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء [٥] .

ويدخل في تحريم الميسر اللعب بالنَّرْد [٦] والشطرنج [٧] إذا كان بعوض بإجماع العلماء[٨].

وكذلك اتفق جمهور العلماء من الأئمة الأربعة وغيرهم على أن اللعب بالنرد حرام، وإن لم يكن فيه عوض، وجعل مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشطرنج أشد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠.
(٢) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٥/ ٣١-٣٢)، زاد المسير (١/ ٢٤٠).
(٣) جامع البيان (٥/ ٣٢).
(٤) انظر: المرجع السابق، وانظر: زاد المسير (١/ ٢٤٠).
(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٣٥).
(٦) الكعب الذي يلعب به وهو اسم أعجمي معرب، انظر العين (٨/ ٢٢) النهاية (٥/ ٣٨).
(٧) «لعبة فارسية مشهورة» دائرة معارف القرن العشرين (٥/ ٣٨٨).
(٨) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٤/ ٣٠٨)، ومجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٤٤)، (٣٢/ ٢٢٠).

من النرد[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"واتفقوا على أن المغالبات المشتملة على القمار من الميسر؛ سواء كان بالشطرنج أو النرد، أو الجوز [٢] ، أو بالكعاب [٣] ، قال غير واحد من التابعين: كعطاء، وطاووس [٤] ، ومجاهد، وإبراهيم النخعي [٥]: كل شيء من القمار فهو من الميسر؛ حتى لعب الصبيان بالجوز" ا. هـ[٦] .

ومن الميسر المسابقة والمناضلة بالخيول، بعوض من أحدهما لما فيه من أكل المال بالباطل، وأما إن كان من غيرهما كالإمام ونحوه، فلا خلاف في

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢١، ٢٤٤، ٢٥٣)، والمنتقى شرح موطأ مالك شرح حديث رقم: ١٥٠٩ ، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود شرح حديث رقم: ٤٢٨٨.

(٢) ويعرف بالخَرَز ومعناه الخَطَر وهو جوز محكوك يلعب به الصبيان، والجمع إحراز وربما طمع في الربح حتى يفوته رأس المال، انظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٣).

(٣) الكِعَاب: «بكسر الكاف هي فصوص النرد جمع كعب وكعبة»، شرح سنن النسائي للسندي.

(٤) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني، أبو عبدالرحمن ولد ونشأ باليمن وأصله من فارس، كان من أكابر التابعين، في الفقه والحديث توفي بمكة في موسم الحج وهو حاج سنة ١٠٦هـ.
انظر: حلية الأولياء (٤/ ٣)، تهذيب التهذيب (٥/ ٨).

(٥) إبراهيم النخي بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي من مزجح كان من أكابر التابعين ومن علماء الحديث، نشأ بالكوفة توفي سنة ٩٦هـ.
انظر: حلية الأولياء (٤/ ٢١٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ١٨٨-١٩٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢٠-٢٢١).

جوازه [١] .

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :« الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ : فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ : فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهَّ ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ في ميزانه ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ : فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ : فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا ، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ» [٢] .

والعلة في التحريم، لما فيه من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولما فيه من أكل المال بالباطل.

وهو سبب لإثارة العداوة والبغضاء بين الناس التي هي سبب لصد العبد

---

(١) انظر: المغنى لابن قدامة (٩/ ٣٦٩)، والمبدع لابن مقلح الحنبلي (٥/ ١٢١)، منار السبيل، لابن ضويان، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض، سبل السلام، للصنعاني (٤/ ٧١)، نيل الأوطار، للشوكاني (٨/ ٢٣٨)، الكافي في فقه ابن حنبل، للمقدسي (٢/ ٣٣٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «المغالبات ثلاثة أنواع، فما كان معيناً على ما أمر الله به في قوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾، جاز بجعل وبغير جعل، وما كان مغضباً إلى ما نهى الله عنه: كالنرد والشطرنج، فمنهي عنه بجعل، وبغير جعل، وما قد يكون فيه منفعة بلا مضرة راجحة، كالمسابقة، والمصارعة، جاز بلا جعل»ا. هـ، مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٢٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، رقم: ٣٤٥٦، (١/ ٣٩٥)، مؤسسة قرطبة، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٣٧٠٧، (٤/ ٨٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: «غريب» (٢/ ١٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٣٣٥٠، (١/ ٦٣٢).

وحجبه عن الله تعالى [١] .

ومن الأمثلة على هذا الإغراء:

- تزيينه لقوم سبأ عبادة الشمس، قال تعالى : ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ [٢] .

وتزيينه لقوم عادٍ وثمود عبادة غير الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾ [٣] .

أي أغراهم فزيَّن لهم أعمالهم الحسية فظنوها رفيعة مع معرفتهم للحق وقيل مستبصرين في الضلال [٤] .

- ومن الأمثلة على إغرائه العباد، ما يدعو إليه حزبه من زعماء الشر من الضلال، كما ذكر المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** ﴾ [٥] .

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٢٤٠)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٣٠٨)، الفردوسية، ص ١٦٩ .

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٨.

(٤) انظر: أحكام القرآن، للقرطبي، (١٣/ ٣٤٤)، الدر المنثور، للسيوطي (/ ٤٦٢)، تيسير الكريم الرحمن، لابن السعدي (٦/ ٨٥-٨٦).

(٥) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢-١٣ .

- ومن الأمثلة ما سبق ذكره من تزيينه لكل شر [١] .
- ومن الأمثلة تزيينه لسماع الغناء عن سماع القرآن والذكر، كما سيأتي.

الثاني: الإغواء:

وهو الإضلال [٢] ، وهو معنى قولـه تعالى: ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾.

وأمثلة الإضلال كثيرة، فكل شر في هذا العالم فهو سببه، فهو يضل العباد بالشرك، والكفر، وبما دون ذلك من البدعة والكبائر والصغائر، أعاذنا الله منه.

---

(١) انظر: مبحث التزيين من هذا الفصل.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير، لمحمد طاهر (٦/ ١٤٧)، والفتنة وموقف المسلم منها، لعبدالحميد السحيباني، ص ١٦٠.

الباب السادس
ظَنِّ الـسـوء

ومن أساليب الشيطان لإفساد الاعتقاد ظن السوء، فهو يجري من العبد مجرى الدم، كما جاء في حديث

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا . فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً . فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ ، فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَعَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلَى رِسْلِكُمَا . إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ . فَقَالا : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ . وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا » [١]

وسوء الظن من حديث النفس الذي يلقيه الشيطان في نفس الإنسان، "وهو من أعظم الذنوب عند الله... فإن المسيء به الظن، قد ظن به خلاف كماله المقدس، وظن به ما يناقض أسماءه وصفاته، ولهذا توعد الله سبحانه الظَّانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى : ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [٢] ..." [٣] .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٣٨) ومسلم (٢١٧٥)
(٢) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٣) الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٣٣١.

وهو يوقع العبد في ذنوب عظيمة وقبائح مهلكة منها:

أولاً: نفي علم الله واطلاعه على أعمال العباد:

ونفي قدرته تعالى وأسمائه وصفاته وربوبيته وتعطيله عن التصرف في الكون بالإيجاد والتكوين، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1].

وفي سبب نزول هذه الآية، كما روى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ[2] لَهُمَا مِنْ ثَقِيفَ أَوْ رَجُلَانِ مِنْ ثَقِيفَ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ فِي بَيْتٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا قَالَ بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ فنزلت الآية ﴿**وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ**﴾...»[3].

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٢) الأختان: القرابة من جهة المرأة كأبيها وأخيها، ويطلق على زوج البنت والأخت، انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ١٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير معلقاً، باب قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جلودكم وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، رقم: ٤٥٣٨، (٤/ ١٨١٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٥، (٤/ ٢١٤١).

فأخبر تعالى في هذه الآية أن نفي صفة السمع من سوء الظن به تعالى، وهو سبب هلاكهم.

وقد قال تعالى في وعيد الظانين به ظن السوء : قال تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[١].

وفي هذه الآية وعيد شديد للظانين به ظن السوء، لم يتوعد بمثله، وهم مستحقين لـه، إذ لم يقدروا الله حق قدره، حيث نفوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه وكلامه وتكليمه، وعلمه وربوبيته وخلقه وتدبيره [٢] .

ويقول تعالى، مبيناً حال فرعون وتكذيبه بالآيات البينات قال تعالى : ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[٣]

وقال تعالى : ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [٤] .

وقولـه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [٥] الآيات، أي ظن ألا يبعث

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (٣/ ٣٤٨-٣٤٩)، الجواب الكافي، لابن القيم، ص ٣٣١-٣٣٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٩.

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ١٤.

ويعاد بعد موته [١] ، وستأتي مكايده في إنكار البعث إن شاء الله.

ثانياً: التكذيب بالرسل والرسالات:

ومن ظن السوء الذي يلقيه الشيطان في قلوب أتباعه لإفساد عقيدتهم الظن في الأنبياء وتكذيب ما جاءوا به، فقال تعالى – في قصة هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى :

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٢] .

وقوله تعالى في قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى :

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [٣] .

وقال تعالى – في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾** [٤] .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ص ١٤٢١، ط. دار السلام.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٦٥-٦٦.
(٣) سورة هود، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠١-١٠٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (١) .

وفي قصة شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول جل شأنه ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .

ثالثاً: اتباع سبيل الغواية والضلال:

قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٣) .فحال أكثر الناس الانحراف عن الصراط المستقيم وإتباع سبيل الشيطان ظناً منهم أن هذا هو السبيل الحق المنجي.

رابعاً: الظن بعدم نصرة الله للمؤمنين:

قال تعالى : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾(٤) .

ومعنى الآية – والله أعلم – من كان يظن أن الله لن ينصر محمداً ﷺ وصحبه، فليذهب وليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله قد أيده

(١) سورة القصص، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٨٥-١٨٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.
(٤) سورة الحج، الآية: ١٥.

بالنصر والتمكين. والآية فيها مزيد من التهكم والسخرية بهؤلاء المشركين والمنافقين الذين يشكون في نصرة الله تعالى لنبيه وصحابته. وقيل المعنى من ظن أن الله لن ينصر محمداً ﷺ فليمدد بحبل إلى سماء بيته ثم يختنق فيه، ورجح ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول لكونه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم [١].

ويشهد للثاني [٢] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ﴾ [٣].

والمعنى يدل على نصرة الله لنبيه، وليس لأحد من البشر حيلة، ولا قدرة على رد أو منع نصر الله لأوليائه [٤].

خامساً: نفي البعث:

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٧/ ١٢٥-١٢٨)، تفسير القرآن العظيم، ص ٨٩١، ط. دار السلام، أضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ٤٩-٥١).
(٢) انظر: أضواء البيان (٥/ ٥٠).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٤) انظر: أضواء البيان، ٥/ ٥٠.
(٥) سورة الكهف، الآيتان: ٣٥-٣٦.

أَبَـدًا﴾، وذلك اغتراراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار،... ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة..." ا. هـ[١].

وقولـه تعالى: ﴿ وَأَنَّـهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾[٢].

وقال تعالى :﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[٣] .

والمعنى أنهم يتهمون الله تعالى ويسيئون به الظن، وبالمؤمنين ويزعمون بناء على هذا الظن الفاسد أن محمداً وأصحابه سوف يقتلون ويذهبون جميعهم[٤] .

وبمثل هذا المعنى يقول تعالى في سورة آل عمران: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

(١) تفسير ابن كثير، ص ٨٧، ط. دار السلام، الرياض.
(٢) سورة الجن، الآية: ٧.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٦.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص١٢٣٣، تفسير البغوي (٤/ ١٨٩-١٩٠)، أضواء البيان، (٧/ ٦٠٤).

عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[١].

سادساً: تثبيط المسلمين وإضعاف قوتهم:

بإلقاء خوف الهزيمة في قلوبهم، وإيهام المسلمين ببطش الأعداء وقوتهم، واغترار الكفرة بانتصارهم وفوزهم على المسلمين، قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[٢] .

فهؤلاء المتخلفون ظنوا أن المسلمين ستستأصل شأفتهم ويقتلون وزين ذلك الشيطان في قلوبهم، وأوقعهم في ظن السوء لنفاقهم وكفرهم.

ويقول سبحانه – مبيناً حال اليهود بني النضير عندما نقضوا العهد مع النبي ﷺ فأجلاهم عن المدينة – :﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(٢) سورة الفتح، الآيتان: ١١-١٢.

﴿الْأَبْصَارِ﴾ [١] .

سابعاً: الطعن في الأعراض وقذف المؤمنات:

وخير مثال على ذلك حادثة الإفك [٢] التي اتهمت فيها أُمُّنا عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالزنا، ونال من عرضها وشرفها طائفة من المنافقين على رأسهم رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول، فظن طائفة من المؤمنين هذا الظن الفاسد وتكلموا به فأنزل الله تعالى عشر آيات من سورة النور ببراءتها وطهارتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاها وفيها عاتب الله المؤمنين الذين ظنوا هذا الظن السيئ بأم المؤمنين وزوجة سيد المرسلين ﷺ بقوله تعالى : ﴿**لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ [٣] .

وتأمل ما يدور في كثير من مجالس المسلمين من الطعن في الأعراض وقذف المحصنات المؤمنات ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢.

(٢) انظر: تفصيل الحادثة في تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ص ٩٢٨-٩٣١.

(٣) سورة النور، الآيات: ١٢-١٦.

وفي حديث صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت :« كانَ رَسولُ اللهَّ ﷺ مُعْتكِفًا فأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، وكانَ مَسْكَنُهَا في دَارِ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النبيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقالَ النبيُّ ﷺ: علَى رِسْلِكُما إنَّهَا صَفِيَّةُ بنْتُ حُيَيٍّ فَقالَا سُبْحَانَ اللهَّ يا رَسولَ اللهَّ قالَ: إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما سُوءًا، أوْ قالَ: شيئًا »[1] .

درء لهذا الظن وسد لمنافذه حيث إن هذا العدو يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشي رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقذف في قلوبهما شيئاً فيهلكا، فبين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من هي المرأة التي يسير معها حتى لا يهلكا هذين الصحابيين بالظن السيئ في نبي الأمة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ثامناً: الإفساد بين الإخوان والتحريش بين المسلمين:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[2] .

ولسوء الظن علامات منها:ـ

أن يتغير قلبك معه عما كان عليه فتنفر منه، وتستثقله ، وتفتر عن مراعاته

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٨١)

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

وإكرامه والاغتمام بسيئته ... "[١].

ولهذا جعله النبي ﷺ أكذب الحديث فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[٢].

(١) انظر (الأذكار) للإمام النووي (ص/ ٣٤٥) والفتوحات الربانية على الاذكار النووية محمد الشافعي (ج ٧ ص ٢٦)

(٢) رواه البخاري في كتاب: «النكاح»، باب: (لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع)، رقم: ٤٨٤٩، (٥/ ١٩٧٦).

الباب السابع
التسويل

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (١) .

والتسويل في اللغة: "تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله"(٢) .

ومعنى الآية إن الشيطان زين لهم الارتداد عن الدين بعد أن تبين لهم طريق الهدى والاستقامة (٣) .

وقيل: معنى سول لهم أي سهل لهم الردة (٤) .

والله تعالى أملى لهم أي مدَّ في آجالهم أو لم يعاجلهم بالعقوبة (٥) .

وقيل: إن الذي أملى لهم الشيطان أي بمعنى أوعدهم بطول الأمل وبعد الأجل وغرهم وخدعهم (٦) .

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٥.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١١/ ٣٥٠).

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير، ١٣/ ٥٨، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٤٩)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٢)، زاد المسير، لابن الجوزي (٧/ ٤٠٨)، فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٣٩).

(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٦٦).

(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ٥٩)، زاد المسير (١/ ٥٠٩)، فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٣٩).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/ ٢٤٩)، تفسير الفخر الرازي (٢٨/ ٦٦)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٢).

إذن فالتسويل أسلوب لإبليس يتخذه لإفساد الاعتقاد، وهو من التزيين، وقد سبق بيان مكايده في ذلك [١] .

(١) انظر: باب التزيين ص ٦٤ .

الباب الثامن

الاستحواذ والإستهواء والتخويف

ومن أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد كما بين تعالى ذلك في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[١].

والاستحواذ: الغلبة والاستيلاء والاستعلاء [٢] .

واستحواذ الشيطان لهم تم بعدة أمور:

١- الغلبة حيث غلبهم وقوي عليهم، فسلب منهم الإيمان.

٢- الاستيلاء والاستعلاء حيث استولى على عقولهم وقلوبهم فلم تبصر ولم تدرك الحق.

٣- الجمع والضم حيث جمعهم وضمهم إلى حزبه وأنصاره فأصبحوا من حزبه وأعوانه.

٤- الإحاطة بهم من جميع الجهات.

وكان من نتائج هذا الاستحواذ:

١-نسيان ذكر الله تعالى، والغفلة عنه.

٢-ارتكاب المعاصي ومخالفة الأوامر.

---

(١) سورة المجادلة: الآيتان ١٨ - ١٩ .

(٢) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٥٨ .

٣-تحقيق حزبية الشيطان وولائه.

٤-الخسران المبين في الدنيا والآخرة [١] .

ومن أساليبه في إفساد الاعتقاد الاستهواء، وقد بين ذلك المولى تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٢] .

والاستهواء "استفعلته من قول القائل: هوى فلان إلى كذا يهوي إليه ومن قول الله تعالى: ﴿ **فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ** ﴾ بمعنى تنزع إليهم وتريدهم"[٣].

ومعنى استهواء الشياطين أي إضلالهم للعبد وتيهانه عن الطريق المستقيم، فيصبح حيران لا يعرف أي الطريقين يسلك، طريق الحق أم طريق الباطل الذي زيَّنه له الشياطين، وقعدت عليه له بالمرصاد [٤] .

وهذا الاستهواء "يتم بصورة جماعية حيث تتجمع الشياطين على ابن آدم

---

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير (١٤/ ٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٥)، المحرر الوجيز للقاضي ابن عطية (١٥/ ٤٥٦) دار الكتاب الإسلامي القاهرة ، فتح القدير للشوكاني(٥/ ١٩٣)

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٣) جامع البيان، لابن جرير (٥/ ٢٣٥)، وانظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ١١٥.

(٤) انظر: تفسير الكريم الرحمن، لابن سعدي (٢/ ٤٢٠-٤٢١).

لتسلبه عقله، وتسلبه ما ذاق من طعم الإيمان لترده إلى الضلال" [١] .

ومن أساليبه في إفساد الاعتقاد التخويف، كما بين تعالى في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [٢] .

والخوف مصدر من الفعل الثلاثي (خاف) وأصله خَوِفَ، ومعناه الفزع والذعر والرهبة [٣] .

والتخويف الذي يتبعه الشيطان لتخويف أوليائه يكون بعدة أمور منها:

١ ـ التخويف من حزبه وأعوانه: قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [٤] .

ومن ذلك ما يوهم به الصالحين وأهل الخير، من وجود قوة عظيمة وبأس شديد لحزبه، وأعوانه [٥]، مما يجعل العبد الصالح يحذرهم ويخافهم وربما داهنهم خشية وقوع الشر به وهذا كله من كيد الشيطان ومكره.

٢ ـ التخويف من الفقر والحاجة : كلما هم العبد بصدقة أو بذل وإحسان،

---

(١) مكائد الشيطان لعباد الرحمن، سلمان الدحدوح، ص ١٢٠، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٤٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ٣٨٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٥) وتأمل الآن ما يوجد في قلوب الكثيرين من الرعب ولخوف من الدول الكافرة، والشعور بقوتهم وغلبتهم، مما جعل أكثر المسلمين يستسلمون لهم يعيثون في شعوبهم فساداً في حين نرى الفئة التي تثبت وتقاتلهم يكتب الله لها النصر والتأييد عليهم .

قال تعالى: " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ[١].

سيفتقر ولن يجد بعد ذلك مالاً فيظل محافظاً عليه خشية الفقر، ومثلاً قد يهم العبد بصدقة فيأتيه الشيطان ويذكره الحاجة والعيال، فيرجع في صدقته، وهكذا يقف له صاداً عن الخير مخوفاً من الفقر [٢] .

٣- نشر القصص والروايات التي تبث الخوف والرعب في قلوب الخلق، التي تؤدي بهم إلى إفساد اعتقادهم، كالخوف من الأولياء والصالحين، أو الخوف من السحرة والكهنة...

ـ ومن الأمثلة على ذلك.

ما يقوله الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنه يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله، بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذباً أو صادقاً، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله "ا.هـ[٣].

٤- التخويف من شدة بأس الله ونقمته حتى يوقعه في اليأس والقنوط من رحمة الله، ويترك العمل، ولهذا فهو يتعرف على حال العبد فإن وجد منه أمناً وغفلة أمَّنه من مكر الله، وإن وجد منه خوفاً ويأساً أوقعه في القنوط

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) انظر: مداخل الشيطان على نفوس الصالحين،د. الخاصر، ط. المنتدى الإسلامي.

(٣) تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان آل الشيخ، ص ٤٨٥.

من رحمة الله [١] .

وينتج من تخويفه عدة محاذير منها:

١- الوقوع في القنوط من رحمة الله واليأس من روحه كما سيأتي في المبحث القادم.

٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ولهذا كان ﷺ يتعوذ كثيراً من الجبن.

٣- اعتقاد أن هناك مصرفاً للأحوال غير الله سبحانه وتعالى، واعتقاد النفع والضر لمخلوق. سواء كان هذا المخلوق حياً أو ميتاً.. إنسياً أم جنياً، وهذا الخوف ربما أوقع العبد في عبادة هذا المخلوق.

(١) سيأتي الكلام حول القنوط من رحمة الله، في المبحث القادم - بإذن الله - .

الباب التاسع
القنوط من رحمة الله

والقنوط معناه:

"استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم"[١]، إذ هو سوء ظن برب العالمين، وجوده وقبوله توبة التائبين[٢].

وقيل: "اليأس من الرحمة"[٣] ، والمعنى واحد.

وفي التحذير من القنوط يقول الله تعالى : ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٤] .

وفي سبب نزول هذه الآية «روى الحاكم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة، وما الله بقابل منه شيئاً، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[٥] والآيات بعدها، قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٤٢٨، وانظر: القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢٩.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف المناوي (٢/ ٥٩١)، ط. الأولى، ١٤١٠هـ، نشر دار الفكر، دمشق، بيروت.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

بن العاص [١] فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب، ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة» [٢].

ويقول سبحانه وتعالى في قصة نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٣].

وفي هذه الآيات تأكيد من نبي خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على نفي القنوط، لأن القنوط من رحمة الله إنما هو من أفعال الضالين الذين ضلوا الطريق المستقيم، ولم يعرفوا الله ويقدروه حق قدره سبحانه وتعالى، فإنه لا

---

(١) هشام بن العاص الأموي، صحابي، أخو عمرو بن العاص، أسلم بمكة قديماً، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عاد إلى مكة فحبسه قومه، فأقام إلى بعد غزوة الخندق، ثم هاجر وشهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ممن ذهب لهم من يدعوه إلى الإسلام، قتل شهيداً في أجنادين وقيل في اليرموك، عام ١٣هـ، انظر: الإصابة (٦/ ٢٨٦-٢٨٧)، الأعلام، للزركلي (٨/ ٨٦).

(٢) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٣٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. ا.هـ.
وقال الشيخ مقبل الوادعي: «الحديث أخرجه ابن إسحاق، كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٥)، وقال الهيثمي في مجع الزوائد (٦/ ٦١)، رواه البزار ورجاله ثقات». انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، ص ١٣٠.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٥١-٥٦.

يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون.

فإذا أنعم الله عليهم بألوان النعم فرحوا بها، فإذا ابتلاهم الله بأنواع البلايا قنطوا ويئسوا من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[١] .

والرحمة هنا المراد بها البلاء، وقيل: المطر، وقيل: العافية[٢] .

وأما السيئة: فالمراد بها الجوع والقحط، وقيل: المصيبة، وقيل: البلاء وهما بمعنى واحد[٣] .

"وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه..."[٤].

وإبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن قانطاً، ولكنه استبعد حصول الولد[٥].

وقال ابن كثير رحمه الله :

" هذا إنكار على الإنسان من حيث هو ، إلا من عصمه الله ووفقه; فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر وقال: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ

(١) سورة الروم، الآية: ٣٦.
(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٣٠٣).
(٣) انظر: المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها، وتفسير ابن كثير، ص ١٠٣٠، ط. دار السلام.
(٤) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها.
(٥) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠٦)، وتفسير ابن كثير، ص ٧٣٣، ط. دار السلام، تفسير الفخر الرازي (١٩/ ٢٠١).

﴿فَخُورٌ﴾[١]، أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية; قال الله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٢]، أي: صبروا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح « عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له »[٣]، وفي هذا المعنى يقول تعالى في آية أخرى..

﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤]، والمراد بالخير في الآية الصحة في الأبدان والمال، والشر المراد به السقم، وقلة ذات اليد وغير ذلك[٥].

والقنوط عكس الرجاء.

والرجاء هو: "هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه"[٦].

وقيل: "هو الثقة بجود الرب تعالى"[٧]، وقيل: "هو النظر إلى سعة رحمة

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠.
(٢) سورة هود، الآية: ١١.
(٣) تفسير ابن كثير رحمه الله (ج ٧ ص ٦٢).
(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٩.
(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١٣/ ٢).
(٦) تهذيب مدارج السالكين (١/ ٤٧٥-٤٧٦)، وانظر: الرجاء، تأليف: أسعد الصاغري، ص ٨، دار القبلة للثقافة، ط. الأولى ١٤١٣هـ.
(٧) المرجع السابق (١/ ٤٧٦).

الله" [١] ، والمؤمن دائماً ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء فلا يأمن ولا يقنط.

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهَّ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهَّ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » . [٢] .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، قَالَ: وَاللهَّ يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنِّي أَرْجُو اللهَّ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهَّ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ »[٣] .

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ :

"لا ينبغي أن يكون خوف المؤمن بحيث يؤيسه ويقنطه من رحمة الله، كما لا ينبغي أن يكون رجاؤه بحيث يأمن مكر الله أو يجرئه على معصية الله عز وجل" ا.هـ[٤] .

ومن أمثلة الخوف المؤيس ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال :

---

(١) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسهما.

(٢) رواه مسلم في كتاب: «التوبة»، رقم: ٢٧٥٥، (٤/ ٢١٠٩)، ورواه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٤).

(٣) رواه الترمذي في كتاب: «الجنائز»، باب: (٩)، رقم: ٩٨٨، تحفة الأحوزي (٤/ ٥٨)، وقال الترمذي: «حديث غريب»ا. هـ.

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ٢٢).

« أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ ، فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا ، قَالَ : فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ ، فَقَالَ : خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ أَوَ قَالَ مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ » [١] .

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقالت طائفة لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى، والكافر لا يخشى الله تعالى ولا يغفر لـه... فيكون لـه تأويلان: أحدهما: أن معناه لئن قدر على العذاب أي قضاه... والثاني: أي قدر هنا بمعنى ضيق علي.

وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره، ولكن قاله هذا الرجل وهو غير ضابط لكلامه، ولا قاصد لحقيقة معناه... في حال غلب عليه فيها الدهش، والخوف وشدة الجزع... وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها...

وقال طائفة :" هذا الرجل جهل من صفات الله تعالى، وقد اختلف العلماء في تكفير جاهل الصفة... وقيل: إنما أوصى بذلك تحقيراً لنفسه وعقوبة لها لعصيانها وإسرافها..." [٢] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب التوبة، رقم: ٢٧٥٦، (٤/ ٢١١٠).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٧١-٧٢).

وهناك أقوال أخرى .. "[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فهذا أعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً يكفر بمخالفته فغفر الله له"ا. هـ[٢] .

وقال أيضاً: "لكنه كان يجهل ذلك ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته"ا. هـ[٣] .

ومن الأمثلة – أيضاً – وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ ـ ضعيفًا، هزيلاً، مريضًا ـ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ»[٤] .

---

(١) انظر: المرجع السابق الجزء والصفحة نفسهما.

(٢) الرد على البكري، لابن تيمية (٢/ ٤٩٣).

(٣) الاستقامة، لابن تيمية (١/ ١٦٥).

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى، رقم: ٧٥٠٦، (٤/ ٣٥٨)، ط. الأولى، عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية، بيروت.

قال المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"والخوف لـه إفراط، وله اعتدال، وله قصور، والمحمود من ذلك الاعتدال وهو بمنزلة السوط للبهيمة... وليست المبالغة في الضرب محمودة، ولا المتقاصر عن الخوف أيضاً محموداً... وأما القسم الأول وهو الخوف المفرط، فهو كالذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو أيضاً مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج المرض والوله والموت، وليس ذلك محموداً "ا. هـ[١] .

والقنوط من رحمة الله كبيرة من كبائر الذنوب، جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله» [٢] .

ولهذا فالشيطان يحرص على أن يجعل العبد قانطاً من رحمة الله والقنوط – كما سبق – أشد اليأس، فيأتي إليه إن وجه منه الخوف بأن ذنوبه عظيمة، وأن الله لا يغفرها بأي حال من الأحوال لعظمها فيدخل في قلبه اليأس والقنوط من رحمة الله ويدل على ذلك الحديث التالي:

« عَنِ الْمِقْدَادِ قَالَ أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ

والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٨)، مؤسسة قرطبة، مصر، وأبو يعلى في مسنده، رقم:٣٥١١، (٦/ ٢٧٧)، وأصله في الصحيحين.

(١) مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، ص ٣٢٩.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٤٨٥)، والطبراني، «رواه البزار والطبراني ورجاله موثوقون» ا. هـ.

الْجَهْدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا قَالَ فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ قَالَ فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ قَالَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي فَقَالَ مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ قَالَ نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ فَقَالَ وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ قَالَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي قَالَ فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ قَالَ فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ فَشَرِبَ

ثُمَّ نَاوَلَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ اشْرَبْ فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللهَّ أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا قَالَ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ »[1] .

والشاهد من الحديث: تحزين الشيطان للمقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتخويفه من أن تصيبه دعوة النبي ﷺ وذلك ليأس من رحمة الله، فرد الله كيده إلى نحره وأجرى معجزة من المعجزات حيث حفلت الشياه باللبن وحلب منها، وسقى رسول الله ﷺ حتى روي وعلم أنه أصاب دعوته (اللهم أطعم من أطعمني وأسق من أسقاني) وكان هذا سبب ضحكه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى سقط على الأرض من شدة الفرح والسرور حيث انقلب حزنه ويأسه فرحاً وسروراً بعد أن أرضى رسول الله ﷺ ، ولما رأي من رحمة الله تعالى حيث أجرى اللبن في غير وقته وخلاف عادته[2] .

والسبب في تحريم القنوط من رحمة الله أن فيه سوء ظن بالله من ثلاثة أوجه:

الأول : ـ أن فيه تنقصاً وطعناً في قدرة الله سبحانه وتعالي، إذ لا يستحيل

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، رقم: (١٤/ ١٣) شرح النووي.
(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (١٤/ ١٣-١٦).

عليه شيء.

الثاني : ـ أنه طعن في رحمة الله سبحانه وتعالى، أرحم الراحمين [١] .

وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول – قبل موته بثلاث – : «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه» [٢] .

وفي حديث يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[٣] .

الثالث: أنه طعن في كرم الله وجوده، وعلمه تعالى بحاجة عبده وافتقاره إليه [٤] .

---

(١) انظر: القول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١-١٠٤)، وتفسير الرازي (١٩/ ٢٠٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٧٧، (٤/ ٢٢٠٥).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٦)، والدارمي في السنن (٢/ ٣٠٥)، وصححه ابن حبان ٦٣٣، عن واثلة بن الأسقع.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١-١٠٤)، والقول المفيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٤).

الباب العاشر

الأمن من مكر الله

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١).

والمكر من صفات المقابلة، التي لا يسمى بها تعالى، ولا يوصف بها على الإطلاق فلا يقال: الله ماكر، ولا يشتق له منها اسم كالمكر والسخرية والمخادعة... وإنما يأتي في مقام المدح في مثل قولـه تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ على وجه الجزاء لمن فعل ذلك (٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

"وأما المكر الذي وصف به نفسه، فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء لأنه عدل، وكذلك المخادعة والمكر" ا. هـ (٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة، وإنما يذم من جهة سوء القصد وفساد الإرادة...، إذا عرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٢) انظر: مختصر معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي، ص ٥٦، اختصار: سعد محمد القحطاني، دار اشبيليا، ط. الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (٢/ ٢٠٢/ ٢٠٣).

(٣) الفوائد، لابن القيم، ص ٢٩٠، وانظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبدالعزيز السلمان، ص ٥٠، وكتاب صفات الله لصالح المسند، ص ١٢١-١٢٢.

مطلقاً، ولا داخل في أسمائه الحسنى... والمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق..."ا. هـ[١] .

مكر الله: "بأسه ونقمته وقدرته عليهم، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم"[٢] .

قال الحسن البصري:

«المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن»ا. هـ[٣]

وقيل في معنى الأمن من مكر: الاستدراج بالنعم حيث يملي لهم وينعم عليهم بصحة الأبدان، ورخاء العيش، وكثرة الأموال والأولاد، فإذا أمنوا مكر الله، أنزل بهم بأسه ونقمته وجعلهم عبرة للمعتبرين [٤] .

وهذا معنى قولـه تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

قال عطاء [٦] : سنمكر بهم من حيث لا يعلمون...

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار: الموصلي (٢/ ٣٣/ ٣٤).
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٠١.
(٣) المرجع السابق الجزء والصفحة نفسها
(٤) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٦/ ٩)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تأليف: عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ص ٤٢٨.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.
(٦) عطاء بن أبي رباح سيد التابعين، علماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكة... كان حجة إماما كبير الشأن، أخذ عنه أبو حنيفة، وقال: ما رأيت مثله... وكان عبداً أسود ، توفي بمكة

وقال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر [١] .

والشيطان يختبر العبد، فإن وجد عنده نشاطاً وحرصاً قنطه من رحمة الله، وإن وجد عنده تكاسلاً وفتوراً عن الطاعة ذكره الرجاء وسعة الرحمة وشمول المغفرة حتى يوقعه في الأمن من مكر الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

" فإنه – أي الشيطان – يأتي إلى قلب العبد فيُشامُّه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثبَّطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، وإن وجد عنده حذراً وجداً، وتشميراً ونهضة، وأيس أن يأخذه من هذا الباب، أمره بالاجتهاد الزائد، وسوّل لـه أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين... ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه..." ا. هـ [٢] .

عام ١١٤هـ. انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٣/ ٧٠)، صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ٢١١-٢١٢)، الأعلام، للزركلي (٤/ ٣٣٥).

(١) تفسير البغوي (٢/ ٢١٨)، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) الوابل الصيب، لابن القيم، ص ٢٦.

الباب الحادي عشر

الاســتــفــزاز

قال سبحانه وتعالى في شأن عدو الله إبليس قال تعالى : ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (١) .

والاستفزاز في اللغة :

ـ من الفَزّ يقال فَزَّه فَزّاً وأفَزَّه أفزعه وأزعجه وأستفزّه من الشيء: أخرجه، واستفزه: خَتَلَه حتى ألقاه في مهلكة، واستخفَّه واستجهله (٢) .

ومن هذا المعنى اللغوي يتبين المراد بالاستفزاز المذكور في الآية، إذ الشيطان يستخفُّ العباد ويستجهلهم، وقد اختلف العلماء في المراد بالصوت المذكور في الآية، فقيل: المراد دعاؤه للعباد لطاعته وتزيينه المعاصي وهو قول ابن عباس ورجحه ابن جرير (٣) .

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعْتَ أن

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٩١)، الصحاح، للجوهري (٣/ ٨٩٠)، القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ٦٦٩، تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص ٢٥٨، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. بدون، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. وجامع البيان، لابن جرير الطبري(/ ١١٨)

(٣) انظر: جامع البيان، لابن جرير(٩/ ١١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٥)، وتفسير البغوي (٣/ ١٢٣).

تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته" ا. هـ[١] .

وقيل: إن صوت الشيطان هو الغناء والمزامير وهو قول مجاهد، والغناء إن لم يكن صوت الشيطان فهو من أصواته ومزاميره، فمعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية [٢] .

وهو لهو الحديث الوارد في قولـه تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [٣] .

وهذا التفسير منقول عن كثير من الصحابة منهم عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان يقول: (هو والله الغناء) [٤] ... وابن عباس وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ومنقول عن كبار التابعين من أمثال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وغيرهم [٥] ، والأدلة على تحريم الغناء كثيرة من القرآن والسنة وأقوال السلف.

---

(١) جامع البيان، لابن جرير (٩/ ١١٨)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨٨).
(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٩٩).
(٣) سورة لقمان، الآية: ٦.
(٤) رواه الحاكم في المستدك، رقم: ٣٥٤٢، (٢/ ٤٤٦)، وقال: «حديث صحيح الإسناد» و وافقه الذهبي وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/ ١٨٦).
(٥) انظر: جامع البيان، لابن جرير (١١/ ٦١-٦٣)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٥١).

ويسمى "اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان، والسمود" [١]

وفي الحديث الصحيح عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ[٢] وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ[٣]، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».[٤] .

قال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ :

"وهذا صريح ظاهر في تحريم آلات اللهو المطربة، وقد حكى الشيخان أن لا خلاف في تحريم المزمار العراقي وما يضرب به من الأوتار"ا.هـ[٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

"إن المعازف هي آلات اللهو كلها. لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك. ولو كانت حلالاً لما ذمهم على استحلالها، ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والخز، فإن كان بالحاء والراء المهملتين، فهو استحلال الفروج

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٨٥).
(٢) يعني الفرج، انظر فتح الباري (١٠/ ٦٧).
(٣) أي الجبل العالي، انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
(٤) رواه البخاري في كتاب الأشربة، باب (فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه)، رقم: ٥٢٦٨، (٥/ ٢١٢٣).
(٥) الزواجر، لابن حجر الهيثمي (٢/ ٢٠٣).

الحرام، وإن كان بالخاء والزاي المعجمتين فهو نوع من الحرير»ا. هـ[١] .

وفي الترمذي عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ ﷺ : إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ»[٢].

وقد أطال العلماء في ذكر الأدلة على تحريمه [٣] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :"فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد من يعتد بقولـه في الإجماع والاختلاف، أنه أباح هذا السماع" ا. هـ[٤] .

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

"وأما سماعة من المرأة الأجنبية، أو الأمرد فمن أعظم المحرمات، وأشدها فساداً للدين" [٥] ا. هـ

وقال الإمام أحمد: "لا يعجبني".

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب (ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف)، رقم: ٢٢١٣، (٦/ ٣٦٥)، وقال: هذا حديث غريب.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ١٨٥ وما بعدها)، الزواجر، للهيثمي (٢/ ٢٠٢ وما بعدها)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٥١)، تلبيس إبليس،ص ٢١٠ وما بعدها، الدر المنثور، للسيوطي (٦/ ٥٠٥ وما بعدها)، نيل الأوطار، للشوكاني، (٨/ ٢٦١ وما بعدها).

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ١٧٧).

(٥) المرجع السابق (١/ ١٧٨).

وقال العلماء برد شهادة من يسمع الغناء [١] .

وقال القرطبي: بعد ذكر الآثار في تحريمه: "ولهذا الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء... وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل... فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق..." ا.هـ[٢] .

وروي في الحديث عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الغناء ينبت النفاق في القلب) [٣] .

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا يعجبني الغناء لأنه ينبت النفاق في القلب"[٤] .

وأما الاستفزاز الشيطاني فهي إعلان حرب قائمة بين العدو وبين عباد الله تتمثل فيما يلي:

أولاً: يستفزهم، ويزعجهم، ويستخفهم بصوته وهي بداية إعلان الحرب النفسية، وهدم المعنويات.

---

(١) انظر: الزواجر، للهيثمي (٢/ ٢٠٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٥٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه، رقم: ٤٩٢٧، (٤/ ٢٨٢)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٢٠٧٩٥.

(٤) الكافي في فقه ابن حنبل، عبدالله بن قدامة المقدسي (٤/ ٥٢٦)،ط الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، تحقيق: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

ثانياً: حشد القوى، وذلك بجلب الخيل والرجل، وهم كل راكب وماش في معاصي الله والتسلط عليهم بما يقدر عليه [١] .

"والمعنى أجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك" [٢] .

ثالثاً: المشاركة في الأموال:

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[٣] ، والمراد يأمرهم باكتساب هذه الأموال من الحرام، وإنفاقها في معصية الله سواء كان ذلك ما يذبحونه لآلهتهم من النذور أو تحريمهم الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة، فكل ذلك من مشاركة الشيطان لهم في الأموال وغير ذلك من الإنفاق.

"فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض" [٤] .

رابعاً: شاركهم في الأولاد:

قيل: المراد أولاد الزنا، وقيل: أمرهم بوأد البنات، وقتل الأولاد خشية الفقر والعار، وقيل: بتربيتهم على الكفر والفسق، وقيل: بتسميتهم

---

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٩/ ١١٨)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٥)، وتفسير البغوي (٣/ ١٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٨٨).

(٣) سورة الإسراء، الآية ٦٤.

(٤) جامع البيان، لابن جرير الطبري (٩/ ١٢٠)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٦)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٣١٢).

عبدالحارث وعبدالعزى [١] .

"فكل ما عصي الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة" [٢].

وقد سبق الكلام في مشاركة الشيطان في الأولاد [٣].

خامساً: الوعود الكاذبة والأماني الباطلة:

كالوعد بالنصر، وبالأموال الطائلة، والحياة السعيدة والخلود، وكل ذلك من أساليبه الماكرة في إفساد الاعتقاد، كما بين ذلك المولى تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤] .

---

(١) انظر: المرجع السابق (٩/ ١٢٠-١٢١)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٣٢٦)، وزاد المسير، لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، الدر المنثور، للسيوطي (٥/ ٣١٢).

(٢) جامع البيان (٩/ ١٢١).

(٣) في الكتاب الأول (حقيقة الشياطين) في باب الإيذاء البدني والنفسي.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

الباب الثاني عشر

الـسـحـر [١]

وقد سبق تعريفه وحكمه [٢] وقد سماه الله تعالى فتنة في قوله تعالى:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٣] .

وللشيطان وسائل عدة لإفساد الاعتقاد بالسحر منها:

١- إيقاع السحرة في الشرك الأكبر، من خلال ما يقومون به من التقرب للشياطين والذبح لهم ودعائهم والاستغاثة بهم.

٢- إيقاعهم - أيضاً - في أفعال عظام لا يقدم عليها إلا من باع دينه بدنياه، مثل وضع المصحف على قدميه، ودخول الخلاء به، ومخاطبة الكواكب والسجود لها، والزنا بالمحارم وغير ذلك من الفواحش [٤] .

٣- فتنة العباد بهذا الساحر، حيث يتعلق به ضعاف الإيمان فيستغل

---

(١) قد سبق بحث موضوع السحر في أكثر من موضوع، وهنا أبين كيف كان وسيلة من وسائل إبليس لإفساد الاعتقاد.

(٢) انظر: الجزء الأول من هذه السلسلة (حقيقة الشياطين وعداوتهم لبني آدم) مبحث السحر.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٤) انظر: الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، تأليف: وحيد عبدالسلام بالي، ص ١٨-١٩.

ضعفهم وحاجتهم لإفساد عقائدهم أولاً، ونهب أموالهم ثانياً لأوليائه وأعوانه، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

"والشيطان هو نفسه خبيث، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، وأمثال ذلك بما يحبونه من الكفر الشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطي غيره مالاً ليقتل لـه من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة...

فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانهم على بعض أغراضهم إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس..." ا.هـ (٢) .

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

"وهذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني. فيحسبهم الجاهل أولياء الرحمن، وإنما هم من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) الفتاوى، ١٩/ ٣٤-٣٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.

أولياء الشيطان. أطاعوه في الإشراك، ومعصية الله، والخروج عما بعث به رسله، وأنزل به كتبه، فأطاعهم في أن خدمهم بإخبارهم بكثير من المغيبات والتأثيرات..." ا. هـ[١] [٢].

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٢/ ١٧٢.
(٢) لمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع مراجعة الجزء الأول من سلسلة مكايد الشيطان (حقيقة الشياطين وصفاتهم) .

الخـــاتـمـــة

وبعد أن منَّ الله العظيم الكريم عليّ بإتمام هذا البحث أحمده وأشكره وأثني عليه، بما هو أهله تعالى وتقدس، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، ولعظيم سلطانه، وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، ولـه الحمد على نعمة الإسلام والإيمان والقرآن ونعمة الأهل والمال والمعافاة، وله الحمد على كل نعمة أنعم بها علينا في سر وعلانية أو خاصة أو عامة له الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا وله الحمد إذا رضي.

وأصلى وأسلم على الرحمة المهداة، والسراج المنير نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآل بيته وأزواجه الطاهرات العفيفات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأسال الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يجعله خالصاً لوجهه.

وبعد:

فلم تخل ملة من الملل إلا وحذرت أتباعها من الشيطان الرجيم [1]، وهو عدو ملازم لكل إنسان، فالقرين موكل بالعبد وهو كافر يأمره بكل

---

(١) فمثلاً في الديانات المجوسية تعتقد إلهين خالق النور، وخالق الظلمة، الذي يزعمون أنه خلق سائر الشرور، وفي الديانة النصرانية تجعل من إبليس شخصاً مسيطراً على الأرواح الشريرة، التي تحاول بدروها أن تهيمن وتضبط كل نشاط بشري، ففي انجيل بطرس ٥: ٨ (فأصبحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو)، وفي إنجيل متى (١/ ١١) الإصحاح الرابع: (وأخذه إبليس إلى جبل عال جداً، فأراه جميع ممالك الدنيا ومجدها وقال لـه: أعطيك هذا كله إن سجدت لي وعبدتني، فأجابه يسوع: ابتعد عني، يا شيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد).

فحشاء وسوء وهذا مما يزيد خطورة هذا العدو، الذي جند حياته لإضلال بني البشر، فهو ابتلاء للمسلم يحتاج فيها إلى صبر ومصابرة كي يخرج نقياً صافياً،﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ**﴾ (١).

وهذا العدو له أساليب يتفنن بها في إفساد البشرية وضلالهم ، وقد بينت في هذا الجزء أساليب الشيطان في إفساد الاعتقاد ، وهو جزء من كتاب (مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد) وقد رأيت إفراده في كتاب ليسهل الانتفاع به وقراءته، نفع الله به وبأصله.

وأسأل الله تعالى ان يجعله خالصاً صواباً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قالته وكتبته

الدكتوره قذله بنت محمد ال حواش القحطاني

الموقع الالكتروني

/http: / /www.d-gathla.com

(١) سورة الأنفال، الآية٣٧.

المراجـــــع

١- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز السلمان طبعة المؤلف عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر مكتبة ابن تيمية، ط. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين ط. التاسعة ١٩٩٠م.

٤- الأنوار الساطعات لآيات الجامعات، للشيخ عبد العزيز السلمان، ط. الرابعة، ١٤١١هـ.

٥- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٦- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تأليف محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، ط. الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٧- البحر المحيط أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٨- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الكتب العلمية.

٩- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، توزيع دار النفائس.

١٠- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تأيف مجد الدين محمد

بن يعقوب الفيروزآبادي، ط. المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.

١١- بيان تلبيس الجهمية أو نقض تأسس الجهمية، تأليف أبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مؤسسة قرطبة.

١٢- تاج العروس من جوهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

١٣- التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الوكالة العامة للتوزيع، دمشق.

١٤- تفسير البحر المحيط، تأليف محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط. الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر.

١٥- تفسير البغوي ، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٦- تفسير التحرير والتنوير، تأليف محمد بن الطاهر بن عاشور الدار التونسية ١٩٨٤م.

١٧- تفسير الفخر الرازي ط. الثالثة ١٤٠٥ / ١٩٨٥م، دار الفكر.

١٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبعة دار السلام، الرياض.

١٩- تفسير المعوذتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق مصطفى بن العدوي، نشر مكتبة الصديق، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٠- تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي ت٥٩٧، تحقيق د. السيد الجميلي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط. السادسة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢١- تلبيس إبليس للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي دراسة وتحقيق د. أحمد بن عثمان الزيد .ط. الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الوطن، الرياض.

٢٢- التمهيد، لابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد البكري.

٢٣- تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، هذبه عبدالمنعم صالح العزي، ط. الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٤- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبدالرؤوف المناوي، ط. الأولى، ١٤١٠هـ، نشر دار الفكر، دمشق، بيروت، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

٢٥- تيسير الكريم الرحمن للعلامة عبد الرحمن السعدي،تحقيق: محمد زهري النجار، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، عالم الكتب.

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٤م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ، مؤسسة

الكتب الثقافية.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة، صورة عن الطبعة الثانية، المحققة والمصححة بدار الكتب المصرية.

٢٩- الجواب الكافي، للإمام ابن قيم الجوزية، ط. الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن خزيمة، تحقيق عامر علي ياسين.

٣٠- حراسة الفضيلة، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، طبعة الحرس الوطني.

٣١- حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبدالحميد، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي.

٣٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٣- حماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان، تأليف: الأستاذ إبراهيم محمد الضبيعي.

٣٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

٣٥- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، توزيع مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٣٦- الرسائل المنيرية، ط. عام ١٣٦٤هـ، توزيع مكتبة طيبة، الرياض.

٣٧- روح المعاني للألوسي، إدارة الطباعة المنيرية.

٣٨- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن علي محمد الجوزي، ط. الرابعة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

٣٩- الزواجر لابن عباس الهيثمي، ط. عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت.

٤٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.

٤١- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبدالله بن يزيد القزويني، ط. المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٤٢- سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبع ونشر دار الجنان، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، دراسة وفهرسة كمال الحوت.

٤٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- سنن الدارمي للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ط. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: فؤاد زمرلي وخالد السبع.

٤٥- السنن الكبرى، البيهقي، نشر مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.

٤٦- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ترقيم وتصحيح: عبدالفتاح أبو غدة.

٤٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض.

٤٩- شرح صحيح مسلم، للإمام محيى الدين أبو زكريا النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٠- الشريعة الإسلامية للقوانين الجاهلية، لعمر بن سليمان الأشقر، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ، طبعة دار الدعوة، الكويت.

٥١- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حامد فقي.

٥٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، مطبعة عيسى الحلبي، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٥٣- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، لوحيد عبدالسلام بالي، مكتبة الصحابة، ط. الثالثة ١٤٢١هـ.

٥٤- الصحاح، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد

عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط. الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٥- صحيح ابن حبان، ط. الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بيروت، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٥٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم وشرح وتخريج: د.مصطفى ديب البغا، ط. الرابعة، ١٤١٠هـ، نشر وتوزيع دار ابن كثير.

٥٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي.

٥٨- الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي، ط. عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، الرياض.

٥٩- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، طبع ونشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

٦٠- صفات الله، تأليف: صالح المسند، ط. الثانية،١٤١٢هـ/ ١٩٩١م ، مطبعة المدني.

٦١- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار الوعي، حلب، حققه وعلق عليه: محمد فاخوري.

٦٢- ضوء القرآن، إعداد عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني. دار القاسم، ط. الأولى،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦٣- عالم الجن والشياطين، د. عمر سليمان الأشقر، دار الكتب العلمية، ط. الخامسة، ١٤٠٦هـ، الكويت.

٦٤- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للعلامة ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

٦٥- العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، نشر مكتبة الرشد.

٦٦- عون المعبود في شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق أبو الطيب، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، نشر المكتبة السلفية، المدينة.

٦٧- العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي.

٦٨- غريب الحديث، لابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ط. الأولى ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي.

٦٩- غريب الحديث، لابن عبيد القاسم سلام الهروي، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان.

٧٠- غريب الحديث، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط. الأولى، ١٣٩٧هـ، نشر مطبعة العاني، بغداد، تحقيق: د. عبدالله الجبوري.

٧١- الفائق في غريب الحديث، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، تحقيق: الحسن النعماني.

٧٢- فتح الباري، لابن حجر، ط. عام ١٣٧٩هـ، بيروت، دار المعرفة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب.

٧٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٧٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تاريخ النشر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م.

٧٥- فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجان، لأبي عبيدة مشهود بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧٦- الفتنة وموقف المسلم منها، إعداد: عبدالحميد السحيباني، ط. الأولى ١٤١٧هـ، دار القاسم للنشر والتوزيع.

٧٧- الفوائد لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ط. الثانية، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.

٧٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٩- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٨٠- الكافي في فقه ابن حنبل، لعبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، ط. الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

٨١- كشاف القناع، لمنصور البهوتي، ط. عام ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت، تحقيق: هلال مصيلحي هلال.

٨٢- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

٨٣- المبدع، لإبراهيم بن مفلح الحنبلي، ط. عام ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي.

٨٤- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد القاسم، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية.

٨٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتخريج: فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

٨٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ط. عام ١٣٩٥هـ/

١٩٧٥م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨٧- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.

٨٨- مختصر إغاثة اللهفان، لابن القيم، اختصره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ.

٨٩- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر المعروف، بابن قيم الجوزية، ط. عام ١٣٤٩هـ، دار الفكر، اختصار محمد الموصلي.

٩٠- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار الموصلي، طبعة دار الفكر.

مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي.

٩١- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد فقي، نشر دار الكتاب العربي، ط. الثانية، عام ١٣٩٢هـ.

٩٢- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أ[ي عبدالله بن محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ط. الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.

٩٣- مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الشهير بأبي داود الطيالسي، دار المعرفة بيروت، لبنان.

٩٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل فهرسة الشيخ ناصر الدين الألباني، ط. الخامسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط. المكتب الإسلامي.

٩٥- مسند الحارث ابن أبي أمامة، تحقيق: د. حسين الباكري، ط. الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢١م، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.

٩٦- المغني لابن قدامة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩٧- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الفكر.

٩٨- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة. بيروت، لبنان.

٩٩- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ط. الثالثة، هلوت رينز.

١٠٠- مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: سليم الهلالي، ط. الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، دار ابن الجوزي، الدمام.

١٠١- المقدسي، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.

١٠٢- مكايد الشيطان لعباد الرحمن، تأليف: سليمان الدحدوح، دار البشائر الإسلامية.

١٠٣- منار السبيل، ابن ضويان، ط. الثانية، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٠٤- المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، ط. الثانية، عام ١٣٩٤هـ، دار الكتب الحديثة، مصر.

١٠٥- منهج الإسلام في تزكية النفوس، د. أنس أحمد كرزون، نشر دار النور المكتبات، جدة، دار ابن حزم، بيروت.

١٠٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٠٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط. دار الفكر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمط الطناجي.

١٠٨- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار للشيخ الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، نشر دار الحديث، القاهرة.

١٠٩- الهوى وأثره في الخلاف، للشيخ د. عبدالله الغنيمان، ط. الأولى، ١٤١٢هـ، دار الوطن.

١١٠- الوابل الصيب الكلم الطيب لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية. حققه وخرج أحاديثه عبدالقادر الأرناؤوط. ط. الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

فهرس

مقدمة ٣
أهمية البحث ٥
منهجية البحث : ١٣
تقسيم البحث ١٦
الباب الأول ١٩
خطوات الشيطان ١٩
الخطوة في اللغة: ١٩
وأول هذه الخطوات:..... ٢٣
أولاً: النسيان ٢٣
ثانياً: الاستدراج ٢٩
ثالثاً: التسويف..... ٣٠
رابعاً: الوسوسة..... ٣٢
وهو ينفذ إلى النفس الإنسانية من ثلاثة منافذ هي:..... ٣٥
والوسواس أنواع منها:ـ..... ٣٦
خامساً: الأَزّ ٤٨
سادساً: الحيرة ٥١
سابعاً: التبرؤ والشماتة..... ٥٥

الباب الثاني ٦٠
تزيين الباطل ونسيان الحق..... ٦٠
وللشيطان في هذا التزيين أساليب وطرق كثيرة منها: ٦٠
أولاً: تزيين الشرك ٦٠
ثانياً: تزين الحرام وتسميته بأسماء محببة للنفوس ٦٢
ثالثاً: تزيين المعاصي ٦٧
رابعاً: تزيين اتباع الهوى ٧١
خامساً: تزيين حرب المسلمين، وتكذيب الرسل ٧٣
سادساً: تزيين أعمال الطغاة لأنفسهم، ليصد الناس عن الحق. ٧٤
سابعاً: تزيين النفاق ٧٤
الباب الثالث ٧٦
الـــفـــتـــنـــة ٧٦
ومن مظاهر الفتن التي يوقع فيها العباد ما يلي: ٧٧
أولاً: فتنة الكفر والشرك ٧٧
ثانياً: فتنة الحكم بغير ما أنزل الله..... ٧٨
ثالثاً: فتنة النساء..... ٧٩
رابعاً الفتنة بالأمرد..... ٨٥
خامساً: فتنة الأموال والأولاد..... ٩٢
سادساً: الفتنة بالتعلق بالبدع والمعاصي ١٠٣

سابعاً : الفتنة بالدخول على السلاطين ١٠٥
ثامناً: الفتنة بالمسيح الدجال ١٠٦
الباب الرابع ١٠٨
إلـقـاء الـشبــهــات ١٠٨
ومن وسائل الشيطان في إفساد الاعتقاد بإلقاء الشبهات: .. ١١٠
أولاً: التشكيك ١١٠
ثانياً: الخوض في متشابه القرآن ١١١
ثالثاً: المجادلة بالباطل ١١٤
الباب الخامس ١١٧
الـصــدَّ ١١٧
الأول: الإغراء:..... ١١٨
الثاني: الإغواء: ١٢٤
الباب السادس..... ١٢٥
ظَـنِّ الــســوء ١٢٥
أولاً: نفي علم الله واطلاعه على أعمال العباد: ١٢٦
ثانياً: التكذيب بالرسل والرسالات:..... ١٢٨
ثالثاً: اتباع سبيل الغواية والضلال: ١٢٩
رابعاً: الظن بعدم نصرة الله للمؤمنين: ١٢٩
خامساً: نفي البعث: ١٣٠

سادساً: تثبيط المسلمين وإضعاف قوتهم: ١٣٢
سابعاً: الطعن في الأعراض وقذف المؤمنات: ١٣٣
ثامناً: الإفساد بين الإخوان والتحريش بين المسلمين: ١٣٤
ولسوء الظن علامات منها:ـ ١٣٤
الباب السابع ١٣٦
التسويل ١٣٦
الباب الثامن ١٣٨
الاستحواذ والإستهواء والتخويف ١٣٨
واستحواذ الشيطان لهم تم بعدة أمور: ١٣٨
وكان من نتائج هذا الاستحواذ: ١٣٨
ومن أساليبه في إفساد الاعتقاد الاستهواء ١٣٩
والتخويف الذي يتبعه الشيطان لتخويف أوليائه يكون بعدة
أمور منها: ١٤٠
وينتج من تخويفه عدة محاذير منها: ١٤٢
الباب التاسع ١٤٣
القنوط من رحمة الله ١٤٣
والقنوط معناه: ١٤٣
والسبب في تحريم القنوط من رحمة الله أن فيه سوء ظن بالله من
ثلاثة أوجه: ١٥٢

الباب العاشر ١٥٤
الأمــن مــن مــكــر الله ١٥٤
الباب الحادي عشر ١٥٧
الاســتــفــزاز ١٥٧
أولاً: يستفزهم، ويزعجهم، ويستخفهم بصوته وهي بداية
إعلان الحرب النفسية، وهدم المعنويات..... ١٦١
ثانياً: حشد القوى، وذلك بجلب الخيل والرجل، وهم كل
راكب وماش في معاصي الله والتسلط عليهم بما يقدر عليه ١٦٢
ثالثاً: المشاركة في الأموال:..... ١٦٢
رابعاً: شاركهم في الأولاد: ١٦٢
خامساً: الوعود الكاذبة والأماني الباطلة: ١٦٣
الباب الثاني عشر..... ١٦٤
الــسـحــر..... ١٦٤
وللشيطان وسائل عدة لإفساد الاعتقاد بالسحر منها: ١٦٤
الخــاتــمــة..... ١٦٧
المراجـــــع ١٦٩
فهرس..... ١٨٢